إلى القارئ

في الضحك والاضحاك

بقلم : البشير بن سلامة

صدر عن الشركة التونسية للتوزيع منذ أشهر قليلة كتاب صغير الحجم للشاعر نور الدين صمود بعنوان « هزل وجد » وقرأت مقالا مترجما عن مجلة «نيوزويك Wewsweek» عنوانه : «وزنة لا بأس بها من الضحك» • وان كان الشبه بين النصين بعيدا فانه في الواقع صادر عن غرض واحد هو التأكيد على ملكة أساسية في حياة الانسان وهي الضحك والاضحاك والمزح والفكاهة والدعابة .

فالشاعر نور الدين صمود جمع لنا في صفحات تقرأ بكل شغف عدة نوادر وملح عرفها الادب العربي وجمعت في كتب شائعة بين الناس وخلطها بما شاع عندنا في مجتمعنا من ألوان الفكاهة التي كانت موجودة سواء في الجرائد الفكاهية أو المجالس الادبية رغم ما كان يرزح تحته الشعب التونسي آنذاك من عنت الاستعمار وكوارث الزمان .

ولئن بقيت روح المرح والفكاهة والضحك والاضحاك موجودة في مجالس الادب والفكر في تونس فانها تقلصت كثيرا في انتاجنا الادبي والثقافي بصورة عامة وهي ظاهرة غير سليمة تماما لان المجتمع ، أي مجتمع ، لا يجد توازنه الا في المعادلة الطبيعية المزجة بين الجد والهزل • فلقد احتجبت منذ زمان كل الجرائد الهزلية واصبحت نسبة المسرحيات المأسوية والبؤسوية و « الحكاكية » والايديولوجية أكثر بكثير من الكوميديا وغابت عن البرامج الاذاعية ما كان فيها من روح مرحة تربوية بغياب أساطين الفكاهة والاضحاك.

وبذلك غرق الناس جميعا ـ وهذا لا يقتصر على المجتمع التونسى فقط ـ فى مواجهة المشاكل اليومية التى تتشعب بقدر ما تزول الروح المرحة الضاحكة وتتعقد كلما واجهها الانسان بقتامة وبؤس ويأس وتجهم وهو ما حدا بمجلة « نيوزويك » الى أن تعقد فصلا تعالج فيه عن طريق الضحك مآسى المجتمع المعاصر .

ولقائل أن يقول : إن ذلك ليس بجديد فقد كتب الجاحظ صفحات ناصعة فى هذا الباب ونحا نحوه الكثيرون ولكن ما أبرزته مجلة « نيوزويك » جديد وجدير بأن يعرفه القراء اذ بينت أنّ علماء النفس خاصة تركوا جانبا البحث فى طبيعة الضحك وانكبوا على معرفة ماذا ينتج عن الضحك ودللوا على أن الضحك دواء ناجع ضد مرض العصر وهو « الستراس » هذه الاضطرابات العضوية والنفسانية التى تتسبب فى ظهورها عوامل عدوانية مختلفة تفتك بالانسان المعاصر ورأى هؤلاء العلماء أن الضحك يشفى من صداع الرأس والتعفن وفرط التوتر وارتفاع الضغط . وجرب هذا « الدواء » فى عدة مستشفيات لمعالجة الانحلال النخاعى وظاهرة العزلة عند الشيوخ .

وفى رأى هؤلاء العلماء أن من يضحك ضحكة مزلزلة يشعر بارتياح جسمانى يخفف عنه الجهود التى قام بها نتيجة تفاقم عضلات البطن والصدر والاكتاف ودقات القلب والضغط الدموى . ويعتبر الدكتور فري من جامعة ستانفورد أن الضحك بمثابة « العدو الريفى الثابت » « Jogging Stationnaire » مثل غيره من التمارين التى يكون لها فيما بعد منافع كثيرة اذ ما أن ينتهى الضحك حتى ترتخى العضلات مما يخفف من بعض آلام الرأس ويخفض من دقات القلب والضغط الدموى تحت النسبة العادية وهو دليل على انخفاض حدة « الستراس » .

ويقارن بعض العلماء بين ما ينشأ عن العدو والضحك من ازدياد مادة « الأدرينالين » فى الدم وتدفقها فى الدماغ وهو ما يحدث هذا الشعور بالراحة بعد الضحك . لذلك اعتبر بعض الباحثين أن المركز الاصلى للضحك موجود فى

الشق الايمن من الدماغ وان بعض المرضى الذين أصابهم ضرر فى هذا الموطن لا يحركون ساكنا عند سماع النوادر التى تضحك غيرهم من النـاس ضحكـا مزلزلا . أما علماء « النرووج » فانهم وجدوا فوارق بين النشاط الكهربـائى الذى يتمتع به الشق الايمن من الدماغ وبين نشاط الشق الايسر وهو أعجز من أن يتذوق ملحة حارة ولكن فى قدرته تفسير لغز قديم بينما يبقى الشق الايمن ـ على حد قول العالم النفسانى « بول ماك في » من جامعة التكساس ـ مربوطا بكل ما هو انفعالى وبالتالى يكون عنصر توحيد .

ويرى هؤلاء العلماء أن الانسان عندما يريد تفصيل نادرة من النوادر فانه يستعمل الشق الايسر اى المحلل للاشياء ولهذا السبب فنحن نضيع الجـانب الفكه من النادرة عندما نحللها .

أما البيولوجيون فقد قاموا ببحوث تتعلق بسيرورة الضحك عند الانسان ورأوا أنه مظهر من مظاهر الانتصار على العدو ومنفـذ للخـروج من التوتـر والطاقة الكبيرة المعروفة فى العراك. وبعضهم يشير الى أن له منافع عديدة لانه من العلامات التى تبشر بالخير ولانه يدل على أن الانسان الضاحك لا يلحـق ضررا بغيره ولا ينتظر من غيره عدوانا ما .

وهكذا تبين أن للضحك والاضحاك فوائد علاجية جمة وأن ملتقيات هـامة عقدت خاصة فى أمريكا ومنها ندوة واشنطن المنتظمة سنة 1982 حول الفكاهة وما سيصدر من كتاب تعليمى يتعلق بالبحث الفكاهى فى جزأين .

وما أحرى بلدان العالم الثالث التى تتخبط فى مشاكـل يـومية عـويصة ويشقى فيها الانسان مرتين الاولى بغرقه فى هموم التخلف مرضا وجهلا وفقرا والثانية بوعيه المرضى الدائم المضنى بهذه الآفات فيشقى شقاء تزيده مـآتى العصر تشعبا وترمى به فى متاهات الاستلاب والقتـامة واليـاس والانهيـار العصبى والعدوان على غيره والعنف المدمر فى آخر المطاف .

لذا فان للخلاقين والمبدعين فى مجالات الثقافة دورا كبيرا فى ولـوج هذا الباب وتخفيف وطأة الحياة على أبناء البرية وهم فى ذلك لا يتخلون عن طبيعة الخلـق الحقيقية التى هى كامنة فى هذه الطـاقة اللاهيـة المحـركة لسيرورة الابداع والابتكار والمفضية أساسا الى الوعى الصحيح المتزن البناء بمقتضيـات توازن الفرد والمجتمع وقديما قال أبو نواس :

« صار جـدا ما مزحت بـه رب جـد جـره اللعـب »

وكتب فيكتور هوفو قصة كاملة عنوانها : « الرجل الذى يضحك » ووصفه بأنه دعامة العالم الباكى هذه الدعامة التى هى فى صورة تمثال امرأة وكان هو القلق المصنوع من الضحك الصاخب الحامل لعبء كون كله كوارث ولقد سجن الضحاك نفسه الى الابد فى الفرح والسخرية وتسلية الغير » .

وجاء فى الحديث النبوى الشريف : « ان اللـه يبعث السحـاب فيضحـك أحســن الضحــك » .

وقال ج. كوكتو : « إن القدرة على الضحك الصاخب دليل على فضل فى النفـس » .

ولكن للضحك نواميسه وانماطه وللاضحاك منافذه وأساطينه وللضحـك عصره والهيئة المؤاتية له فمن يضحك اليوم مثل هارون الرشيد حتى يفحص برجله أو يضحك حتى يستلقى لانه يجد على الاقل ظهـر الكرسى مانعـا من الاستلقاء وهل ثمت اليوم انظمة تعلب بالدغدغة المضحكة كما كان ذلك فى القرون الغابرة (نسأل أمنستى العالمية) وهل يوجد اليوم مثـل ما كان فى الصين القديمة من يتخلص من زوجته باضحاكها الى حد الموت من دون أن توجه اليه تهمة جريمة القتل .

ثم هل أن الضحك ـ مهما كان ـ مقبول فهناك الضحكة البليدة والوحشية والبلهاء والصفراء والمجنونة والجهنمية والشريرة والبهيمية والقاسية والكلبية وهل كل اضحاك يؤدى الدور الذى قصده علماء بيولوجيا الضحك اذ كم من اضحاك مصدره الفكاهة «الحكاكية» التى تجعل الضاحك كالاجرب يدمى جلده وهو يلتذ بذلك وكم من مضحك يصبح ضحكـة (بضم الضاد وسكون الحاء) أو أضحوكة (يضحك منه) بعد أن كان ضحكـة (بضم الضاد وفتح الحاء) (كثير الضحك) .

وهكذا يرى القارىء الكريم أن مسالة الضحك والاضحـاك ليست هينـة وأنها فى صلب العمل الثقافى الجاد وتقتضى تدبرا ودربة واحكاما ترجع الى هذه الملكة الطبيعية التى خلقت مع الانسان الشأن الاكبر والاوفق .

البشير بن سلامة

اتحاد الكتّاب وحدة في التنوّع

بقلم: محمد مزالي

إني بحق متأثر ومعتز (*) متأثر لأني أزور بعد عشرين سنة تقريبا هذا المحل الذى عملت فيه مدة ستة أعوام بلا انقطاع وساهمت فيه بكل قواي فى رفع شأن الشباب واحلال الرياضة المنزلة التربوية والاخلاقية اللائقة بها وخدمة الطفولة وخاصة الطفولة المشردة والمحرومة فى نطاق مشروع قرى أطفال بورقيبة . أزور اليوم هذا المكان فتتسابق أمامي الصور وتزدحم الذكريات وأرى من بينكم بعض وجوه ساهمت معي فى هذا العمل العظيم الذى تحقق غداة الاستقلال فى مجالات الطفولة والشباب والرياضة وننظر الى ما حولنا ونشاهد أن المعركة متواصلة وأن قضايا الشباب والرياضة لا تزال على أهميتها ولا تزال تستدعي مجهودات جبارة وامكانيات كبرى فى بلد فتي كتونس .

وإني معتز لأني أجتمع اليوم بعدد كبير من الكتاب والادباء ينتسبون الى أجيال مختلفة ومدارس أدبية وفكرية متعددة يوحد كلمتهم اتحاد الكتاب على أساس التسامح والتقدير المتبادل والديمقراطية الحق ويجمع بينهم حب واحد لتونس وعزيمة مشتركة لخدمة الادب التونسي واشعاع الفكر التونسي والتفاني فى احياء القيم العربية الاسلامية ودعمها فى هذه الديار .

نجتمع اليوم لتدشين المقر الجديد اللائق باتحاد الكتاب التونسيين بعد سعي طال عشرة أعوام ، انه أمل يتحقق ومكسب يعطى اتحاد الكتاب اطارا أرحب للتلاقي والتحاور وأداة عمل أنسب وأكثر فاعلية ليقوم الكتاب برسالتهم فى خدمة الادب والفكر وأنا معتز لأني وزميلي وأخي الاستاذ

(*) هذا نص الكلمة التى ارتجلها الاستاذ محمد مزالي الرئيس المؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين والوزير الاول يوم السبت 8 أكتوبر 1983 عند تدشينه للمقر الجديد للاتحاد .

البشير بن سلامه ساهمنا من موقع المسؤولية السياسية منذ تكوين هذه الحكومة سنة 1980 فى تذليل الصعوبات والاستجابة الى هذا المطلب القديم ، وأعيد القول بأني معتز لأني لا أعتبر نفسي غريبا عنكم رغم البعد الذى حتمته المسؤوليات بل أشعر بصلة الرحم وهى أقوى وأعمق ما تكون لان الشؤون السياسية ، كما صدعت بذلك مرات كثيرة ومنذ سنوات بعيدة ، انما هى أداة لتحقيق القيم والمبادىء والاهداف البعيدة التى يؤمن بها الكاتب ويقف حياته من أجلها . انما تهب المسؤولية السياسية فاعلية أقوى لتحقيق هذه الاهداف . أما المهم والاصل فهو هو ، ثابت دائما لا يتغير وهو الوفاء للذات والالتزام بنصرة القيم السامية .

وفى هذه المناسبة أود أن أهنىء الكتاب التونسيين بهذا المكسب وعلى رأسهم أخي وزميلي الاستاذ محمد العروسى المطوي وهو أحد مؤسسى اتحاد الكتاب وفى مقدمة المناضلين فى صفوفه ولا أشك فى أن اتحاد الكتاب سيتوسع من الآن فصاعدا فى النشاط ويكون أقدر على الاستجابة الى حاجات اعضائه وتيسير العمل لهم .

لقد أشار منذ حين الأخ العزيز الاستاذ البشير بن سلامه الى صفة من الصفات الكثيرة التى تحلى بها اتحاد الكتاب لا بالرجوع الى ما نص عليه قانونه الاساسى فقط بل فى سلوك ومعاملات أفراد هيئته المديرة وأغلب المشتركين فيه وهى صفة صعبة المنال واقصد التسامح . نعم لقد نجحنا والحمد لله منذ تأسيس اتحاد الكتاب فى احترام مبدأ التسامح . لا شك أن وحدة الاتحاد ، وقوته ، فى تنوع مشارب المنتسبين اليه واختلاف أفكارهم واتجاهاتهم . ان الوحدة فى التنوع وحتى فى الاختلاف ، هذا ما لم يفهمه بعضهم وهذا ما ثبتت مصلحته ومصداقيته فى تونس وفى خارج تونس .

بل انظروا حولكم الى كافة اتحادات الكتاب فى المنطقة العربية على الاقل وتأملوا فى أسباب تشرذمهم وتوزعهم وخصوماتهم وتعصب هذا الفريق على الآخر وكيد هذا الفريق للفريق الآخر وكيف ذهبت ريحهم جميعا وذابوا من الارض وبقي المجتمع يهزأ بهم وفى أحسن الحالات لا يبالى بوجودهم بل يجهل وجودهم .

إني ــ ومن زاملني فى العمل ضمن الاتحاد اثناء سنواته الاولى ــ أذكر الى أى حد كنا نحترم خصوصية كل عضو من أعضاء الاتحاد وطرافته وكيف كنا نحرص الى حد المبالغة على ألا نصدر حكم قيمة على هذا الانتاج أو ذاك وانما كنا نجتهد ، بقدر المستطاع ، فى اتباع واحترام مقاييس موضوعية هى الفيصل

فى أحكامنا وهى التى نرجع اليها ونحتكم ، وانها لرياضة اخلاقية ومعنوية صعبة المراس أسهل منها وأيسر بكثير أن نصدر أحكاما فنلغى هذا الانتاج أو نستصغر شأن هذا الكاتب أو نستعظم الآخر لا لشىء الا لانه صديقنا الشخصى أو لانه يعتنق نفس المذهب الذى نعتنقه أو ينتمى الى الجيل الذى ننتمى اليه أو الجهة التى نحن فيها نبتنا .

ان ضمان ديمومة الاتحاد يكمن فى التسامح والايمان بأن القوة والوحدة والبقاء سرهما التسامح والتماس القوة من التعدد والتعايش لا من قولبة الكاتب وفرض نسق عقائدى او جمالى واحتكار العصمة • ان لديمومة الاتحاد ونجاحه أسبابا فى مقدمتها هذا الالتزام بالتسامح الذى يقتضى التواضع والاحترام المتبادل .

واذا سمحتم لى بأن أتقدم برجاء بوصفى ساهمت معكم فى تأسيس الاتحاد وترأسته طيلة عشر سنين فهو ان تحافظوا على هذه الصفة حتى يبقى الاتحاد على ما هو عليه يزيد قوة ويجمع فى صفوفه أكثر ما يمكن من الادباء والخلاقين.

والملاحظة الثانية التى أسمح لنفسى بأن أجهر بها ـ باعتبار أن هذا اللقاء ليس لقاء تشريفاتيا بل فرصة لتجدد العهد ونتحاور ـ هى أن يواصل الاتحاد التعاون مع الحكومة ولا أقول هذا لأني رئيس حكومة بل أقول هذا لأني كنت رئيس اتحاد وتعاملت مع الاجهزة الحكومية حينذاك ورأيت أن فى التعامل مع المسؤولين غنما كبيرا للكتاب ذلك أن من القضايا القومية ما يستوجب التعاون بين الحكومة والكتاب لعلاجها وربحها ولسنا واثقين من أننا نستطيع دائما ربحها بأدنى التكاليف ، وفى أقرب الآجال نظرا لاستعصائها ولوجود عقبات كأداء فى طريقها ! فمهما كانت أفكارنا السياسية وتنوعت مشاربنا الاديلوجية فنحن متضامنون ملتزمون بالعمل من أجل ازدهار النشر وتحسين التوزيع ويبقى كل واحد منا حرا لان التعاون ارادى يقتضى اختيارا تلقائيا يجب أن نتعاون كما تعاونا من قبل فى ملتقياتنا فى تونس وفى الحمامات وفى غيرهما لنقحم الانتاج التونسى فى البرامج التربوية ولنعمل على حل قضايا الورق والطبع • فليكن الكتاب مثالا للتقدير المتبادل واحترام كل الآراء •

والكسب الكبير فى قضية النشر مثلا أن يكون الكتاب استطاعوا ان يقنعوا الحكومة فى بحر هذه السنة بأن تتحمل ـ سواء عن طريق شركة تونس الجوية أو عن طريق وزارة الشؤون الثقافية ـ تكاليف معلوم نقل الكتب والمجلات الى مختلف البلدان العربية وأن يكون ذلك مجانا بالنسبة للناشر أو الكاتب فهذا

غنم كبير كنا منذ خمس أو ست سنين لا نتجاسر على مطالبة الدوائر المسؤولة به . وكسب كبير كذلك أن يدعم صندوق التعويض الورق الثقافي وأن تزيد وزارة الثقافة من نسبة مشترياتها من الانتاج مهما كان . لكن المكاسب التي ننتظرها ما زالت كثيرة ويجب أن نعمل اليد في اليد حتى نحققها مكسبا مكسبا .

فأيهما أحسن للكاتب ؟ هل هو الوقوف على الربوة وتوجيه الاتهامات والتباكي على حظ الثقافة والتشاكي من الاضطهاد الحقيقي أو الوهمي أم دخول المعمعة وممارسة النضال اليومي ملفا ملفا وقضية قضية !؟ هذا هو الاختيار الكبير الذي يفرض نفسه على الكتاب .

وأنا بصفتي مسؤولا في الحكومة أوجه مرة أخرى الدعوة الى الكتاب ، الى اخواني في الوطن . الى زملائي في القلم ، الى رواد الفكر والثقافة في هذه البلاد ، الى أمل الشعب التونسي في الغد الحضاري الاسعد أوجه لهم الدعوة بهذه المناسبة من صميم القلب حتى «يتعصبوا» للتسامح ويتعاونوا بعضهم مع بعض وجميعهم معنا ويجتنبوا حرب الطبقات ولا يكون الحقد هو المحرك لاقوالهم وأعمالهم فتكون المحبة هي التي تجمع بينهم وبيننا وان يقدر بعضنا بعضا على اختلاف آرائنا ولون انتاجنا . وانما البقاء للاصلح والتاريخ يحكم لكم أو عليكم بقدر ما توفقون أو لا توفقون في هذا الدرب على أسس التسامح والتعاون مع كل المسؤولين في سبيل القضايا التي هي قضايانا جميعا . هذه هي كلمتي . وأنا عندما استقرىء أحوال بعض الاقطار العربية أتأسف اذ أرى بعضهم ينعق ويصيح ويقضي الوقت كله ليسجل هدفا لفظيا بينما الصناعة طويلة كما يقول الجاحظ والعمر قصير ، فلتنتج ولتخلق أي شيء ايجابي تكتبه وأي كتاب تنشره وأي مسرحية تخلقها وأي عرض تنظمه كسب لك ولبلادك. دعنا من الامور السلبية يا أخي ولا تكن في الشجار مثل الحماة المشاكسة ولا تكن مثل أولئك الحانقين الحاقدين الذين يعتقدون انهم يخلقون ادبا وهم يفرزون السباب والشتم والغمز واللمز والهمز يسجلون الاحتجاجات ! دعنا يا أخي من هذا واكتب ـ هداك الله ـ وانتج وافرض نفسك في الانتاج . أنا لم يبلغ بي الصلف درجة أدعي معها أني متواضع! ولهذا أقول : لو لم أتسامح في «الفكر» ولم أعانق كل الاتجاهات رغم اختلافي معها أحيانا لما عمرت «الفكر» تسعا وعشرين سنة ، فلأول مرة في تاريخ تونس الفكرية يصمد مشروع ثقافي ويواضب . ولو بقيت كبعض الناس مذ كان عمري خمسا وعشرين سنة اكتب من حين لآخر كلمة « بماء العين » احتج فيها على فلان لظللت أسجل الاهداف

وأطلع باحتجاج ساعة بعد ساعة فيقولون عني : والله ان فلانا شجاع لا يتواطأ . وأنا بالعكس أقبل التعامل مع كل النـاس وأعاشرهم دون أن أكون بالضرورة مثلهم ! طالما أن مسيرتنا المشتركة تقوم على التسامح والصبر والمحبة لان التسامح هو دليل المحبة والاحتجاج والرفض دليل الحقد فعندما أحبـك وأحب الناس من حولى أقبل منك ومنهم كل شيء أما اذا ركبنى الغرور فاني أتعصب عليك وعليهم فلا يعجبنى شيء ومن حين لآخر أكتب مقالة نارية وهذا أمر لا طائل من ورائه . انظروا بيانات بعضهم واحتجاجات بعضهم وصياحهم في السنوات العشر الماضية ! انها هراء . لقد أرعدوا وأزبدوا ولم يبق من كل ذلك الا «الرغوة والزبد الذى يذهب جفاء !» .

انظروا الى ما بقى ثابتا في الساحة الثقافية من كتب ودارسات لافي تونس فقط بل فى مصر ولبنان وهما أكثر البلدان العربية انتاجا فماذا بقي من طه حسين؟ بقى انتاجه . وماذا بقى من العقاد ؟ بقى انتاجه . فالعقاد عملاق وطه حسين عملاق والمازنى عملاق لكن انظروا الى الاقزام الذين كتبوا العرائض والبيانات ضدهم ربما الشيء الوحيد الايجابى الذى نتج عن تطاولهم هو كونهم اصبحوا معروفين لدى البعض فالذى انتقد طه حسين أصبح معروفا لانه تجاسر وانتقد طه حسين أو شوقى . ولدينـا كذلك أقـزام وليس هذا هو الادب الصحيح والانتاج الثابت أقول ما أقول بدون مركبات ومن دون أن أغير موقفى المعروف منذ أكثر من ثلاثين سنة أى منذ أن كنت معكم أستاذا وأديبا وأثناء مداولاتنا فى جلسات « الفكر » التى تواصلت أكثر من عشـرين سنـة وقـد نشـرت بمجلة « الفكر » لعز الدين المدنى « الانسان الصفر » عامى 1968 و 1969 رغم كونى غير موافق على كل ما جاء فى « الانسان الصفر » والتاريخ سوف يسجل ذلك لأني كنت أعتقد ان هذا الشاب له ما يقول ولا بد من تشجيعه على الانتاج. وعندما جاءنى البشير خريف عام 1959 وسلمنى روايته : « حبـك دربـانى » طلبت منه اضافة عنوان ثان واقترحت عليه « افلاس » حتى يفهه الاخوان فى العالم العربى فاستجاب لاقتراحى . ولما بدأنـا قراءتها تضاحك بعض أعضاء أسرة « الفكر » فقلت : هذا أدب. ولو ضحكت من قصته كما فعل بعضهم ولم أشجعه لتسبب له ذلك فى مركب أبعـده عن مـواصلة الانتـاج ولحرمنـا من الاستمتاع « ببـرق الليـل » و « خليفة الأقرع » و « الدقلة فى عراجينها » وغيرها من القصص . وبذلك ساهمت أنا وزملائى فى خدمة الادب .

ان جعل اتحاد الكتاب يقف على ساقيه ليس مسألة سهلـة لان الكثير من الجمعيات تتكون وبعد أشهر تعصف بها ريـاح الانانية والتعصب والصلف !

ويفسر البعض هذه الظاهرة السلبية بقلة التشجيع أو بالظروف السياسية!

ان المسؤولية ليست فى أن تحقق كل ما يطلبه الناس فى فترة معينة بل فى أن تحقق الديمومة للمشروع حتى يقف على ساقيه .

ان ادارة شؤون البشر ليست سهلة وليس من اليسير أن تجمع حولك فريقا يتكون من عشرة كتاب كل واحد منهم يعتد بنفسه ولا يرى الكمال والكفاءة الا فى شخصه.ان العمل مع مثل هذا الفريق يتطلب الكثير من الصبر والمصابرة ونكران الذات ! لان المهم ليس المصلحة الشخصية بل مصلحة الكتاب ومصلحة الادب العربى .

لو لم اوثر الايجاز لاعطيت لكم نماذج من خيبات الظن التى حصلت لى فى ادارة مجلة « الفكر » أو فى « اتحاد الكتاب » من طرف بعض الذين لا يعملون ويسوؤهم أن يعمل غيرهم ! ولكن الذى يهمنى اليوم هو أن أعمل على تحقيق ولو ثلث الاهداف وعلى أن يبقى الاتحاد قائما وتبقى المجلة قائمة ويبقى للثقافة اشعاعها هذا هو الصبر الذى لا يتصوره الكثير من الناس . لقد ضحينا بأوقاتنا وبأوقات أبنائنا وبمتعتنا الشخصية فى سبيل غاية تتجاوزنا ولم نغنم لانفسنا من ذلك لا ناقة ولا جملا بل قمنا بما قمنا به لاننا نجد فيه نخوة واعتزازا وأنا اليوم معتز بكل ما قدمت للادب العربى فى تونس مهما كان متواضعا ! وأريد أن يعرف الشباب من خدم اتحاد الكتاب سنة أو عشر سنوات وأن يعرفوا لماذا واصلت « الفكر » مسيرتها على امتداد ثمانية وعشرين سنة وما زالت تواصلها.وهى مجلة غير حكومية شقت طريقها واشتد عودها وتركزت فى السنوات الاولى من عمرها وصاحبها لم يكن وزيرا بل أستاذا أخذ من أوقات فراغه القليلة ما مكنه من التحرير والمراسلة والاشراف على الطبع والتوزيع وجمع الاشتراكات ! بفضل المجهودات التى بذلها .

هذا ما أحببت أن أقوله لكم بكل صراحة فى هذه المناسبة السعيدة وأنا أعرف أن ما قلته قد لا يوافقنى عليه البعض ويمكن أن يعلق عليه سلبيا ولا أرى مانعا فى ذلك بل أتحمل مسؤوليتى لأني أعيش وأموت من أجل أفكارى المستمدة من حب الوطن والايمان بالقيم .

هذا ما نشأت عليه وسأظل وفيا له لانه طعم الحياة وسبب الوجود . وقل اعملوا فسيرى الله أعمالكم ورسوله والمؤمنون !

محمد مزالي

أعطني دهشتي .. أعطني قلقي *

شعر: عبدالله مالك القاسمي

أيتُها الأرض تعَالي ..
فأنا مُلقَى على المدَى
هُوَ الماءُ يُحاصِر الضفَافْ
ولا ضِفافَ لي ..

هُنا .
هِيَ الريَاحُ تنشُر الريَاحْ
هُوَ المدَى يُعانِقُ المدَى

* * *

أيتُهاالأرض تعَالي ..
قاسِمينِي الطيرَ والعُشبَ وَهذِي الأنجُمَ المُسَافِرَهْ
انتجِعينِي غيْمَةً ترحَلُ في مَغَالِقِ الوَطَنْ
(مَاعَادَ لي بَدَنْ)
انْدَلِعِي فِي حَضْرتِي ، وَامْتَشِقِي وَجْهَ الوَطَنْ
(مَا عَادَ لي بَدَنْ)
إذَنْ ..
اخضَوْضِري في بُرْدَةِ الحُقُولْ

وغنّي للفصولْ

* * *

أيتهاالأرض تعاليْ ..
فأنا منكسرٌ كالشمْس فوقَ صفحةِ البحْر ،
ولكنّي ..
مُدجّجٌ بأشكال البهاءْ
مُشتعلٌ باللون والرؤى
يمزجُني الأبيَض بالأحمر بالأخضَر بالأزرَق ..
بالفضاءْ

تعاليْ ..
وتوزّعي ..
هُنايندَاحُ ظِلي
تنهَض الأعشابُ والطيورُ فيْ

تعاليْ ..
جاسدِيني ، دثّريني بالغِناءْ
نبْني معًا :
مدار فُلْكنا ..
وعشقنا

نبْني معًا :
مملكةَ للاشتهاءْ

أيتُها الأرض إليْ
أيتها الأرض إليْ
(امتشقِي وجْهَ الوطنْ
ماعادَ لي بَدَنْ)

كـانَ ..

يَسْتَنْزِفُ حلمـاً

كـانَ ..

في كلّ صبَاح يَنْتَظِـرْ

فَجْأة ..

اسْتَيْقَظ الليـلْ

فَجْأَةً ..

* * *

يَا طفـلاً يَحْلُـم جـدّاً ،
مِـنْ أيْـنَ الحُلْـمُ يَجـيءْ ؟
كيفَ تَسَلّلْتَ إلى قَوْسِي القُـزَحِـي ؟
كيْفَ دَخَلْتَ إلى مُعْتَـرَكِ اللّوْنِ وبَهْـرَجَةِ الضّـوْءْ ؟
آهٍ ..

كيْفَ تَسَلّلْتَ إليّ ؟

* * *

يَا طفـلاً يَحْلُـمُ جـدّاً ،
كيْفَ عَبَرْتَ حُدُودَ اللّيْلِ الحافِلِ بالظلُمَـاتِ المُشْتَعِلَـهْ ؟
كيْفَ تَسَلّقْتَ الأسْـوَارَ / المُـدُنَ / المَنْفَـى .. ؟
كيْفَ عَبَـرْتَ حُـدُودَ الوَطَنِ الوَاقِـفِ .. والزّمَنِ الزّاحِـفِ ..
كيْـفْ ؟

* * *

مِـنْ أيْـنَ أتَيْـتْ ؟
كيْفَ عَبَـرْتَ حُـدُودَ الكفَـنِ ؟

كيفَ تسلّقتَ حبالَ الموتْ ؟
كيفَ انبثقَ الصوتْ ؟
آهٍ ..
مِنْ أينَ أتيتْ ؟
كيفَ ضحكتَ .. وكيفَ بكيتْ ؟
كيفَ ضحكتَ ..؟
وكيفَ بكيتْ ؟

* * *

يا طفلاً يسكنُني ،
مِنْ أينَ الحُلمُ يجيءُ ؟
ياطفلاً يسكنُني ،
كيفَ تسلّلتَ إليّ ؟
هلْ باغتكَ الفرحُ البريُّ ..
فتزحزحَ عنْ قلبكَ شوكُ الرهبه ..؟
أمْ هذا الدمُ ..
باركَ خطوكَ ..
فاندفعتْ في الشريانِ خيولُ الرغبهْ ؟
كيفَ إذنْ ..؟
كيفَ عبرتَ حدودَ الأسئلةِ الصعبهْ ؟
؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

* * *

كانَ وحيداً في غرفتهِ
يشنقُهُ الوقتُ ـ الحزنُ
كانَ الوقتُ

« مِـنْ حَجَـرٍ »
وَالحُـزْنُ
« مِنْ يَاقُوتْ »

....

كانَ الكـلاَمُ مـُعَلّقـاً على الجُـدْرَانْ
فَتَنَبُـتُ الأسْئِلَــهْ ..
ثُـمّ تَمُـوتْ !
هَـل تَمَـوتُ ؛

* * *

أفِـقْ ، أيُّهَـا المُتَـوَحِّـدُ بِـي
أعْطِنِـي دَهْشَتِـي .. قَلَقِـي
أعْطِنِـي غَضَبِـي
أفِـقَ أيُّهَـا المُقْتَفِي أثَـرِي ..
أفِـقْ ..

* * *

لَمْ يَـكنْ نَـائِمـاً ،
كَـانَ بَيْنَ سُـؤَال وَبَيْنَ ذُهُـولْ
لَمْ يَـكنْ نَائِمـاً ،
كانَ يَسْتَـكْشِفُ الحُلْـمَ وَالمُـدُنَ الغَـائِمَـهْ
لَـمْ يَـكنْ نَـائِمـاً ،
كانَ يُمسِـكُ بِالغَيْـم وَالرّيـحْ
وَيَجْـرِي وَرَاءَ الفُصُـولْ
لَمْ يَـكنْ نَـائِمـاً
كانَتِ الأرْض نَائِمَــةً ، نَــائِمَــهْ

عبد الله مالك القاسمي

في الدفاع عن اللغة العربية

بقلم : محمد أنور بوسنينه

اللغة العربية عزيزة علينا جميعا والدفاع عن كيانها من مقتضيات الوجود والحياة ، واثبات الذاتية لا يكون الا بها ، فهي لغة القرآن والحديث ولغة قريش التي كان لها الدور الاول في توحيد لهجاتها وتهذيبها باعتبار ان اهم الاسواق كانت في قريش وقد اضيفت لها كنوز حضارات متاخمة لها كمصر وفارس والروم والحبشة عن سبيل التجارة أو غيرها . فكان التطور والاخذ والعطاء لتكمل النقص بما تأخذه من لغات تلك الحضارات العظيمة فكان التعبير في ادق معانيه سواء فيما يتعلق بالحس او الوجدان .

وقد زادها الكتاب العزيز قوة وثباتا تقاوم به الظروف العاتية على مر العصور وكما يرى احمد أمين من انها ارقى اللغات السامية فلا تعاد لها اللغة الآرامية ولا العبرية ولا غيرها من هذا الفرع السامي وهي كذلك من ارقى لغات العالم فهي تمتاز حتى عن اللغات الآرية بكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها فاذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص ، بما يقابلها من كلمة افرنجية وما يشتق منها ، كانت اللغة العربية في ذلك ــ غالبا ــ أوفر وأغنى . فمثلا اشتقوا من الضرب : ضرب ، ويضرب واضرب وضارب ومضروب وسموا آلة الضرب مضربا ، ومضرابا ، وقالوا ضاربه أي جالده ، وتضرب الشيء ، واضطرب : تحرك وماج ، وحديث مضطرب ، وأمر مضطرب والضريبة ، ما ضربته بالسيف وضاربه في المال من المضاربة (وهي ان تعطي انسانا من مالك ما يتجر فيه على ان يكون له سهم معلوم من الربح) واشتقوا منه مضاربا وبالفتح مضاربا الى غير ذلك من المعاني المجازية كضرب الدراهم والدنانير والضرب في الارض وفي سبيل الله وعلى الايدي وعن العمل واضرب البرد النبات .. والضريب من اللبن وهو الذي

يحلب من عدة لقاح فى اناء واحد (والضرباء : الامثال والنظراء) والضرائب : الاشكال ..

كل هذا دليل على غنى العربية غنى تاما فى الاشتقاق والمجاز قل ان تجاريها فيها لغة اخرى وكذلك ما لها من طرق متعددة فى القلب والابدال والنحت (1) ووضح الاستاذ أحمد أمين فى « فجر الاسلام » (2) ما كان للعرب من ملاحظات دقيقة فيما يقع عليه حسهم فالابل والخيل والارض لكل شىء منها اسم فاذا طرأ أى تغيير وضعوا له اسما خاصا ، فاذا قصرت اللغة فى شىء ففى ما لم يكن يقع تحت حسهم كمستخرجات البحار ، وأنواع النباتات والحيوانات التى تنتج فى غير اقليمهم . ان ما جعل اللغة العربية تستطيع ان تكون لغة القرآن الكريم والحديث هذه المرونة وهذا الاشتقاق والمجاز والقلب والابدال والنحت فكان فيهما تلك المعانى السامية العظيمة الجليلة والتى بلغت الروعة فى السمو والرفعة ، وكان فيهما تلك التعابير الدينية والاجتماعية والتشريعية الجديدة المستجدة حيث لم يكن للعرب عهد بها .. كما استطاعت ان تكون « أداة » لكل ما نقل من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم وفى ظرف وجيز لم يتجاوز القرن منذ بدء العهد العباسى كانت زبدة وخلاصة كل هذه الثقافات مدونة باللغة العربية ..

« والعرب الذين لم يكونوا يعلمون شيئا من مصطلحات الحساب والهندسة والطب ولا شيئا من منطق أرسطو وفلسفته اصبحوا فى قليل من الزمن يعبرون بالعربية عن ادق النظريات .. وما كانت تستطيع ذلك كله لولا ما بها من حياة ومرونة ورقى » (3) .

وبعد مخاض عسير فى العصر العباسى وتحديات عسيرة لوضع قواعد للغة ثابتة وبعد التوسع فى مدلول الكلمات ومعانيها بطرق متباينة خرجت اللغة سليمة منيعة قوية وضعفت امامها بقية اللغات المجاورة او لغات البلاد المفتوحة حتى أخذ عن العرب الفرس والرومان والقبط فى الشام ومصر وكسبوا من اللغة العربية ثقافة واسعة وفنا وأدبا وعلما (4) .

---

1) أحمد أمين ـ ضحى الاسلام ـ الجزء الاول ص 29 .
2) فجر الاسلام ص 62 وما بعدها ..
3) ضحى الاسلام ص 291 .
4) المصدر السابق ص 294 .

واني لا أطيل عليك قارئي الكريم حيث أورد في هذه الدراسة بعض المواقف الجريئة للدفاع عن لغتنا العربية الام من طرف بعض المصلحين في ميداني الفكر والثقافة مبتدئا بالاستاذ محمد النخلي الذي سبق أن نشرت دراسة متواضعة عن حياته وأثبت فيها بالاشارة لا بالتفصيل مراحل كفاحه في ميداني الادب والمعرفة والحث على جانب هام من نضاله الفكري المتمثل في الاعتماد على العقل واعتباره الحجة القيمة والبرهان الساطع في كل عمل وشأن ولي أن أذكر بأنه وجد الاعراض والصدود من بعض شيوخ الزيتونة المتزمتين واعتبروا مواقفه لا تناسب الظروف السائدة في أوائل هذا القرن بل وأرادوا الا يجهر بما يراه الصواب والحقيقة وان يحتفظ بآرائه وأحكامه لخاصة نفسه ، الا ان الرجل كان أكثر اندفاعا وايمانا بما يقول ولم يخف ما حمله صدره فنشره شفاهة او محفوظا في كتاب واني لا اطيل بهذا التلميح رغبة في الولوج الى المشكل المراد طرحه مباشرة واعنى به مسألة تحديات العصر الحديث للغة العربية حاضرا ومستقبلا وهل هي قادرة على خدمة العلوم الحديثة ومسايرة العصر وحضاراته المتباينة الجديدة المتجددة والمركزة على اسس التقنية الدقيقة والعلوم المستحدثة الصحيحة .

ويشير الاستاذ محمد النخلي الى هذا التساؤل منذ خمسين سنة خلت ضمن أسئلة متعددة وردت عليه من بعض الكتاب الفرنسيين عن طريق أحد رفاق النخلي وكان مضمون الاستجواب حول اللغة العربية (5) من ناحية رقيها وحياتها وحول العلم والتعليم الاسلاميين ويشير الاستاذ النخلي بأنه أجاب عن هذه التساؤلات بالتفصيل لما راى في ذلك من ازالة الشبهة عن قوم يتسلمون الحقيقة دون التطلع الى غاية أخرى يرجونها من وراء الدعوى التي يسبكونها في قالب حقيقة ثابتة بديهية وقد أفحم بالرد والجواب على من ادعوا من أن اللغة العربية ميتة حسبها أن تقام بها فروض الدين الاسلامي وتؤدى بها طقوسه وعباداته وانها على رأيهم لغة دينية بحتة وشبهوها باللغة اللاتينية وسائر اللغات

---

5) حياة اللغة العربية محمد النخلي .
نشر مطبعة النهضة ـ تونس ـ بدون تاريخ مع الملاحظ وان ختم الدراسة كان بتاريخ 1327 هـ .
ـ راجع ترجمة حياته في كتاب « التعليم الاسلامي وحركة الاصلاح في جامع الزيتونة » للطاهر الحداد ـ تقديم وتحقيق كاتب المقال 98 ـ كذلك انظر دراسة مطولة بجريدة الصباح بتاريخ : 1980/01/4 .

الدائرة التى قامت الامم الدائرة باحيائها فى هذا العصر ابقاء على ذماء القديم وصيانة لآثار التاريخ أن تسقط فى هوة العدم فلا يبقى لها عين ولا أثر هذا مع الاشارة الى ما ارتآه بعض الناطقين بالعربية ذاتها على كونها لغة أدب وشعر فقط دون ان تكون لغة حضارة وعلوم فى هذا العصر الحاضر ، وان العمل بهذا القول نكث للعهد واعراض عن التاريخ وغض بصر عن اعتبار الحقيقة الواقعة والحجة القائمة الصحيحة .

وينطلق الاستاذ النخلي من مبدأ تاريخي متسلسل يبتدىء منذ العصر الجاهلي الى اليوم ونتاج ذاك التسلسل الذى منه نخرج بحكم صحيح ثابت وهو استمرار حياة اللغة العربية وصحة هيكلها وسلامته بالرغم ما اعترى مزاجها من أدواء هى طبيعية لكل كائن حى متجدد ، وعن العصر الجاهلي يشير بأنه امتاز بميلاد اللغة العربية واشتجار أقسام الكلمة الثلاثة : الاسم والفعل والحرف عن المواد الاصلية ونشوء المشتقات الكثيرة .. ولا يمكن ان يحدد مبدأ هذا العصر تحديدا قطعيا لحساب كثيف يحجب هذه المسألة من الظلمات التاريخية ، نعم ان قضية اختلاط الامة العربية بغيرها من الامم مما يجب ان تكتسب اللغة العربية كثيرا من ألفاظ الامم الاخرى التى خالطتها الامة العربية بواسطة التجارة والجوار فانا نعترف بأن قريشا كانوا تجارا يسافرون الى الشام واليمن والى الفرس أيضا ونعترف بخلطة الاحباش لقريش والفرس للعرب ويؤيد ذلك قصة الفيل وهجرة الصحابة المنكوبين من قريش للحبشة هجرتهم الاولى وخضوع المناذرة واحتماؤهم بفارس ، ولكن تبدل الصيغ ودثور القديم وحلول الجديد محله ، صير من الصعب ان يحكم على كل لفظ بخصوصه بأنه من لغة كذا . وان أمكن تمييز شيء من الالفاظ فى هذا العصر الحاضر بسبب الاطلاع والتنقير على اللغات الشرقية وخدمتها بالوسائل العلمية ، وهذا شأن اللغات تتولد من بعضها وتنضم الفاظ من لغة أخرى اليها فتكتسب لهجتها وتنصبغ بصبغتها وتصير من حر تلك اللغة وصميمها حتى قد يستحيل تمييزها ..

دامت اللغة العربية ممتازة عما عداها من اللغات الآرية بكثرة الالفاظ المترادفة للمعنى الواحد ووفور الكلمات المشتركة للمعانى المختلفة وقد تقدمت فيها الخطابة لانهاض الهمم وايقاد نار الحمية فى مواقف العرب المشهورة ووجد الشعر وارتقى وقصدت القصائد واتسعت دائرة الخيال ونفق سوق البيان وصارت بضاعة البلاغة يتنافس فيها المتنافسون وأقيمت أسواق ببعض

الانحاء يقوم فيها الخطباء والشعراء ويشنفون الآذان بما صاغت قرائحهم من درر الكلام ويتفاخرون بذلك وعلى المفاضلة يتحاكمون الى ان جاء الاسلام (6) .

أما عن العصر الاسلامى فان المصلح النخلي يرى انه بينما كان العرب فى حالة تسابق فى حلبة البيان والتفاخر بحليةالفصاحةاذ جاءهم القرآن لا يختلف عن مادة لغتهم وقوانين تراكيبهم لكنه أعجزهم بما صيغ عليه من سمو الاسلوب وارتفاع طبقة البلاغة الى حد راع أفئدتهم والجم أفواههم ان يأتوا بأقصى سورة منه فطأطؤوا رؤوسهم لاعجازه وخضعوا لحقيقته ومجازه .

كان نزول القرآن مظهر ارتقاء عجيب للغة العربية بما اشتمل عليه من الاساليب التى ما كانوا يعدونها والصيغ العجيبة التى ما سمعوا بمثلها وكان دين الاسلام ايضا عامل نمو فى اللغة العربية بما أحدث فيها من الحقائق الشرعية فلقبت بألقاب بينها وبين المعانى الاصلية نوع مناسبة .

جاء هذا الاسلوب المعجز فأخذوا يرصعون عقود كلامهم ويجيلونه على احلامهم فظهر فى كلامهم أسلوب عال لم يكن يعرفه أسلافهم خطه لهم القرآن بما أودع من آيات البلاغة والبيان .

احتاج الناس الى حفظ اللغة العربية وصونها عن الفساد والاضمحلال بما ظهر على بعض الالسنة من العجمة واللحن المتسببين عن قوة امتزاج الامة العربية بغيرها من الامم من الارتباط العائلي بالزواج وغيره مما اقتضاه الفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا فدونت علوم الادب لتحفظ على الناس لهجة اللغة الاصلية وأساليبها العالية سيان فى ذلك النظم والنثر . هذه العلوم احدثت لها ألفاظ اصطلاحية وسير تركيبى خاص يودع قواعدها فى أذهان المتعلمين فزادت اللغة العربية نموا وارتقاء واصبحت أوسع مما كانت قبل .

أخذت الامة العربية تنصبغ بصبغة الحضارة وتتفنن فى الاثاث والرياش والمآكل والمشرب وكل معدات الحضارة الموجودة بالروم وفارس بعد ان امتد عليها جناح الفتح الاسلامى فحدثت لاجل ذلك كلمات كثيرة تفهم منها هذه المعانى الحضارية ومنها كان لفظ الحضارة فان معناه الاصلى ضد البداوة ثم استعمل فى الحذق فى فنون الترف واستعمال الصنائع ووجود الملاذ التى

---

(6) حياة اللغة العربية ص 7 .

تقتضيها بلهنة العيش وحاجات المدنية . نعم ان بعض الكلمات نقل من اللغة الفارسية أو الهندية مثلا واستعمله العرب فى مدنيتهم بتغيير نوعى ولن يزال كذلك الى اليوم . وهو كثير منصوص عليه فى قواميس اللغة العربية كما ان احتياجاتنا البشرية الحاضرة قضت علينا ان نستعمل كثيرا من الكلمات الافرنجية والتاريخ يعيد نفسه .

انتشر سلطان الاسلام على كثير من الممالك الشرقية والغربية وراى اهل البصر منهم ضرورة اقتباس العلوم والمدنيات الاجنبية للانتفاع بما يفيد منها فى الحالة الاجتماعية فشغف المنصور وأحفاده ومن جاء بعدهم بنقل العلوم الكونية من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية فاغدقوا العطاء وبذلوا النفيس فى سبيل الحصول على ذلك حتى ترجمت كتب لا يحيط بها نطاق الحصر فى علوم كثيرة طبية وفلسفية وطبيعية وآداب اجتماعية واقتضت ضرورة التعبير والتفسير أن تخترع كلمات تدل على هذه المفاهيم العلمية ثم لم تلبث اللغة أن اضحت لغة العلم والمدنية ..

تشكلت الحكومة الاسلامية وتنوعت الدواوين وتعددت الوظائف الدينية والعلمية والسياسية والحربية واستدعت هذه الهيئة الجديدة ألقابا جديدة لم تكن فى الملة الاسلامية فزادت اللغة نموا وارتقاء .

خرجت الامة العربية الاسلامية من جزيرتها تحمل نفائس تعاليم الدين الاسلامى الى الشعوب الاخرى فشاهدوا الامم وعوائدهم ونحلهم واقتبسوا علومهم فاستبحر العمران وتمت اسباب الحضارة لديهم واتسع مجال الخيال وكبرت دوائر المعانى فى افكار الحاملين لراية العلوم الاسلامية فكان الشعر ممثلا لهذا الوضع الجديد الذى شغل حياتهم المادية والادبية ..

ان من الشواهد الحاضرة على صلوحيتها لكل جديد صحفنا ومجلاتنا وتآليفنا فى كثير من العلوم الكونية على الاسلوب الحديث وخلاصة القول ان اللغة العربية ليست لغة ميتة كلغة اللاتين وانما هى لغة حية غير راقية الرقى اللائق بها وبماضيها فعلى اهل الحماسة والغيرة أن يعملوا لرقيها وأن يدأبوا لنشرها .. (7) .

---

(7) المصدر السابق ص 8 ــ 9 ــ 12 .

ولنصل فى بحثنا هذا الى ما كان من بعض الادباء المصلحين فى الشرق العربى من موقف ونظر ازاء اللغة العربية وقد مارسوها درسا وتدريسا وشعروا بوجوب احكام العقل فيها ورفع الضيم عنها وتركها حرة طليقة مثل كل كائن حى له حق فى البقاء والوجود والحياة ولنبدأ باللغوى القدير جبر ضومط (8) الذى ابان بوضوح وفى شدة لهجة وقوة باع ما ارتاه صالحا لهذه اللغة الام بقوله :

اذا سلمنا ان انمى اللغات وارقاها هى أكثرها زيادة لعدد المواليد فى ألفاظها وعباراتها ، واذا سلمنا أيضا ــ ولابد للعاقل المتأمل من التسليم به ــ ان اللغة الثابتة على ما كانت عليه ، اما لغة ميتة محنطة كالمومياء المصرية واللغة العبرية القديمة ، أو هى لغة شاخت ، فتوقفت عن النمو واخذت تتراجع ، اذا سلمنا بما مر ، اذن فالذين يحاولون ابقاء لغتنا العربية على ما كانت عليه فى الفاظها وعباراتها وهيئات تراكيبها ، لا يسمحون بزيادتها بوجه من الوجوه ، لا بالاستعارة ولا بالاشتقاق ، هؤلاء ينادون علنا بان اللغة العربية قد ماتت أو شاخت ، وان انكروا ذلك وسلموا ، كما هو الواقع بأن العربية لغة حية ، نامية ، فعدم رضاهم بزيادة مفرداتها لا بالاستعارة ولا بالاشتقاق تصريح واضح بأنهم يسعون بكل مكنتهم الى اماتتها ، ولا نعلم اذلك من محبتهم لهذه اللغة الشريفة ! أم من بغضهم لها ؟ والمرجح عندى أن ذلك من شدة حبهم لها، ولكنه الحب مع الجهل :

وان قليل الحب بالعقل صالح وان كثير الحب بالجهل فاسد

دعونا نوجه خواطرنا الى مشهد آخر من مشاهد محبى العربية من جملة هؤلاء المحبين من يعترفون بالسنتهم أنهم لا يرون بأسا بزيادة مفردات العربية، بالاستعارة تارة وبالاشتقاق أخرى ، فيأذنون بزيادة «تلغراف» و «أوتوموبيل» مثلا ، وبزيادة «أبرق» و «مغنط» ولكنهم لا يتسامحون لاحد فى ان يقول كما قال الحريرى : « واستعنت بقاطبة الكتاب »

---

(8) جبر ضومط : كان من اشهر اللغويين منذ مطلع هذا القرن تلقى التدريس ودرس اللغة العربية بكلية بيروت الامريكية ، من اشهر مؤلفاته اللغوية «فلسفة اللغة العربية وتطوها» وهى مجموعة مقالات نشرها فى (المقتطف) و (الهلال) توفى سنة 1930 وقد كانت ولادته سنة 1858 .

ويجيزون له أن يقول « استعنت بالكتاب قاطبة » .. فيا لله اذن من كثيرين ممن يدعون حب هذه اللغة ، ولكنهم يحظرون على العقل ان يزورها فى الاحايين حتى ولو كانت زيارته الماما واطلالا من باب دارها الخارجي ، ولطالما كان قبل عهدهم ، فى أيام الجاهلية وصدر الاسلام يزورها غير معارض فيدخل كل مخدع من مخادع مشتقاتها وكل عطفة من عطفات قياسها يأمر وينهى بما يقتضى لا يضيق ولا يعنت ! (9) .

أما ابراهيم اليازجي (10) الاديب اللغوى فقد اعتبر بأنه لم يبق فى أرباب الاقلام من لم يشعر بما صارت اليه اللغة « فى عهدنا الحاضر » من التقصير بخدمة أهلها والعقم بحاجات ذويها ، حتى لقد ضاقت معجماتها بمطالب الكتاب والمعربين ، واصبحت الكتابة فى كثير من الاغراض ، ضربا من شاق التأليف وبابا من أبواب العنت ، واللغة لا تزداد الا ضيقا باتساع مذاهب الحضارة ، وتشعب طرق التفنن فى المخترعات والمستحدثات الى ان كادت تنبذ فى زوايا الاهمال وتلحق بما سبقها من لغات القرون الخوالى ـ ومست الضرورة الى تدارك ما طرأ عليها من الثلم قبل تمام العفاء وقبل ان يختم على معجماتها بقصائد التأبين .

محمد أنور بوسنينه

(يتبع)

---

(9) المشوق : الجزء الرابع ـ حريصا ـ لبنان 1934 صفحة 19 .

(10) ابراهيم اليازجي : أديب ولغوى مدقق ولد سنة 1847 وتوفى سنة 1906 وهو ابن الشيخ ناصيف اليازجي ، اشتهر بتدريس اللغة العربية وقد انشأ مجلة «الضياء» الشهيرة سنة 1898 وأدارها حتى وفاته . من اشهر مؤلفاته اللغوية « نجعة الرائد فى المترادف والمتوارد » و « أغلاط المولدين » .

في اتجاه مُناهضة الياسمين

شعر : الحبيب الهمامي

(1)

هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَحْدي
دَاخِلَ الفكرةِ والفِكرةُ لمْ تَخرُجْ
مِنَ الغَامِض ..
لَمْ تُشعِلْ مَصَابيحَ الكَلامْ
وَرَقُ الدَّفتر يَدْعُونِي
لِكَي أكتُبَنِي
وَالقَلَمُ الأَزْرَقُ لا يَفْهَمُ إغمَاءَ اليَدِ اليُمْنَى
فَهَلْ جَفّتْ يَنَابِيعِي تُرى ؟
أمْ هُوَ مِيلادُ الخِتَامْ ؟

(2)

وَأخِيراً
طَلَعَ الشِّعْرُ عَلَيْ
مِنْ صِرَاعِي الدَّاخِلي

فَهَنِيئـاً لي هَنِيئـاً
إنّنِي الآنَ تَوَصلتُ إليْ

(3)

نَهَضْتُ .. لأنْبَعَ في دَاخِلِي
وَأُفَاجِئنِي بِي
لِمَاذَا الرِّيَاحُ تُحَاوِلُ تَهْشِيمَ أغْنِيَتِي
وَأنَا لا أغَنّي بِلا طعنَـةٍ
لا يُنَاوِلنِي الشّعْرُ أزْمِنَةَ الوَرْدِ إلا
إذَا مَا ذُبِحْتُ !

(4)

أطِلّ عَلى القَلْبِ مِنْ شُرْفَةِ الجُرْحِ
دَاخِلـهُ الليْـلُ مُخْتَبِـلُ الظلُمَـاتْ
يُهَشِّمُ مَا سَوْفَ يُبْنَى
وَيُشْعِلُ فِيَّ خَرَابـاً جَدِيداً
فأُشْعِلُ فِي الوَرَقِ الكلمَاتْ
أطِلّ على القَلْبِ .. أبْوَابُهُ الطعَنَاتْ
وَشُبّاكهُ الجُرْحُ يَعْلُو
يَشُنّ الخَرَابَ على طائِرِ الضَوْءِ
فِي حُلْمِهِ العَبْقَرِيِّ الصفَاتْ
أطلّ على القَلْبِ فِيهِ الجَمَاجِمُ تَتْلُو الأسَى
بِجَمِيعِ اللّغَاتْ

(5)

عرفتُ خرابي
بموتِ العصافير في الشجرة
عرفتُ اتجاهي المُناهض للياسمين
بموتي بلا قُبلة عطرة
عرفتُ جراحي بأغنيتي الخطرة

(6)

أطلّ على القلبِ ما بين لفظة موتٍ وأخرى
أشدّ بقيّته المُرّة ــ الشكل مُنتحراً
فالبقيّة دمعٌ وذكرى

(7)

يطول البكاء عليّ ..
فأجلس فيّ
وأنتظر الدمعَ حتى يشلّ تحرّكَ عمري
يكونُ المساءُ بلا شجرٍ ،
وبلا أمّهاتٍ على غرفتي
فأدخلُها وكأنّي سأدخلُ قبري
أطلّ على القلبِ يُشبهني في الفراغ
تعلق بي وتعلّقتُ بالآخرين الذين
أضاعوا خطاي ..
كأنّي نقيضي ..
كأني سواي .

الحبيب الهمامي

النص الغائب في شعر أحمد شوقي
القراء والوعي

بقلم: محمد بنيس
(المغرب)

هي ذكرى أحمد شوقي ، فيها نتوقف قليلا ونعود اليه نستحضره كما نستحضر الاموات . لماذا نعود اليه ؟ كيف تتم هذه العودة ؟ هل يمكن أن ينسى صمته ويكلمنا ؟ اسئلة تستوجب الطرح ونحن نتهيأ لاحتفال طقوسي له سماته الاجتماعية والسياسية والايديلوجية ، وربما كانت له يقظته الشعرية مع مدارات قضايا الشعر والشعرية في العالم العربي المعاصر ، بل مع ما يرافق هذه القضايا من اختيارات في اعادة قراءة الماضي والمستقبل مشروطة بمواصفات الاستعباد أو التحرر .

لسان الاموات هو الصوت المختفي بين اصوات الاحياء ، لا تضيع آثاره ، ولا تمحى فجأة ، انه استمرار الماضي في تعاقب الازمنة ، لا في دوارنها .

وفئات نذهب الى شوقي لنستحضره وهذا مالا ننتبه اليه دوما . عادة ما نختزل الفئات الى فئة والفئة الى الواحد المتكلم به فتضيع السمات ، وينتهي الاحتمال .

وليس الذهاب الى شوقي مؤرخا بهذا الاحتفال ، فلاعادة قراءة شعر شوقي تاريخها الذي يستمد لحمته من الواقع والتحولات التي عرفها العالم العربي الحديث ، أكانت أدبية - ثقافية ، أم اجتماعية - تاريخية ، ولا شك في ان هذا التاريخ يحتاج هو الآخر لتأمل يعلن انفصاله عن الوصف والتوثيق فيما لا يستغني عنهما ، لان تاريخ اعادة قراءة شوقي محمل بدلالات تستوعب اسئلتنا الشعرية وخارج الشعرية .

ذهابنا اليوم ، اذن ، حلقة في تاريخ اعادة القراءة ، كل منا يفتحها أو يغلقها تبعا لمرمى العين في نسيج تصورات نظرية أو اختيارات يكون فيها الشعر صديقا أو طريقا .

ذهاب الفئات ، ذهاب الاختلاف . وفى الوقت نفسه يعين هذا الخطاب مكانه فى تقاطع الشعر مع النص الغائب ، لان طبيعة الاثارة التى تمت فى هذا المجال تستدعى تأملا مغايرا ، ما دام شوقى « شاعر الاحياء والنهضة الشعرية » ، ومن ثم يفرض مسألة علاقته بالنص الغائب . اما قانون هذا الخطاب فيكمن فى خرق المسلمات لاننا نلحظ جنوحا الى النسيان والتناسى كمقدمة لمحو ماضى الاسئلة وحاضرها حتى ولو بدا هذا الخرق أوليا .

خضع شعر شوقى لقراءات واعادات القراءة ، منذ بدأ شوقى ينشر شعره على الناس فى المجلات والصحف ، ومنذ بدأ شعره يهاجر الى القراء وفى النصوص المتزامنة معه بكل من مصر والاقطار العربية الاخرى (1)،وهذه القراءات واعادات القراءة بصيغتها النافية للمفرد تبين ان هناك خصومة حول شعر شوقى غير شبيهة بالخصومات الشعرية العربية القديمة ، وخاصة فى القرن الثالث فالخصومة حول شعر شوقى متعلقة بالتقليد ومدى اهميته ، وهى فى القديم متصلة بشرعية التجديد وحدود التجريب وهما وضعيتان متناقضتان ، أولاهما ترى فى الماضى حقيقتها ، وثانيهما تهتدى بالحقائق قدسية الحقيقة .

لننصت الآن لبيت شوقى :

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا

اذا كان مبدأ الخرق مدخلا لمبدأ الخلق ، فان الخرق هو اكتمال حالة التفكيك . يهىء لنا بيت شوقى قواعد لعبة السلطة الاخلاقية :

ـ القاعدة الاولى : التقارب قبل التباعد بين المعلم والرسول ، تقاربهما فى تعليم الحقيقة للناس ، والتباعد فى درجة الحقيقة ومصدرها ، وهما محددان بحاجز الخطاب الدينى .

ـ القاعدة الثانية : ايفاء التبجيل من طرف المتعلم للمعلم ، فالاول جاهل والثانى عالم ، وعملية ايفاء التبجيل دلالة على الاعتراف بالابوه المقدسة .

---

(1) راجع مصطلح « هجرة النص » فى دراستنا : صلاح عبد الصبور فى المغرب ، مقاربة أولية لهجرة النص ، مجلة « فصول » القاهرة ، المجلد الثانى ، العدد الاول ، اكتوبر 1981 ، ص 111 .

ـ القاعدة الثالثة : الامر بطاعة المتعلم للمعلم ، وهذا أمر صادر من مكان مجهول وبصوت مجهول صاحبه ، كأنه آت من مصدر فوق ـ انسانى ، متعال على المجتمع والتاريخ .

هذه القواعد الثلاث تبين اللعبة ، كل منها تستلزم الاخرى ، ولكن السؤال نقيض اليقين ، وكما يقول نيتشه « لكن من يتوقف هنا مرة واحدة ، من يتعلم طرف الاسئلة ، لا بد ان يصيبه ما اصابنى » (2) لذلك نطرح سؤالين : هل شوقى هو المعلم الذى يجب ان نوفيه التبجيل ؟ وماذا سيكون عليه الامر لو نحن خرجنا على قواعد لعبة السلطة الاخلاقية ؟

ربما كان شوقى متعلما ـ علامة ، هذا احتماله لا يقينه ، لان المعلم « بأل التعريف نهاية الحقيقة ، وهو ما لم يثبت فى الزمان ، فأول من شك فيها هو طه حسين (3) ، ومن هتك قدسيتها هم جماعة الديوان (4) ، كما لم يثبت فى مسار التحولات الشعرية العربية الحديثة عبر اكثر من مكان (5) ، باختصار لم يثبت ان شوقى أثر ، لانه يفتقد سلطة البداية كما هى متجلية لدى البعض من القدماء والمحدثين معا .

هكذا يتسع النقب وتنهدم قواعد اللعبة ، وبدل الايفاء بالتبجيل نسلك رحلة الحوار ، نترك لاسئلتنا فسحة الانبثاق ، ونتقدم قليلا فى عتمة الوضوح

ليكن المدخل هو تجلية الارضية النظرية الصامتة عبر الخطاب الشعرى ، وهو السائد ايضا فى كون شوقى المعلم الاول (أو الثانى بعد محمود سامى البارودى) للشعراء العرب المحدثين . هذه الارضية النظرية تتمحور حول التجديد الشعرى كاحياء للشعر العربى القديم (استنطاق أصوات الموتى فى النص وبالنص) ، وهى طبعا الوجه الشعرى للاختيارات السلفية التى أرادت العودة الى ماض مجرد ، يأخذ حدوده وسماته من مطالب السلفيين فى التقدم بعد انحطاط أمر العرب المسلمين مقابل التقدم الاوربى . هذه الارضية

---

(2) فريدريك نيتشه ، أصل الاخلاق وفصلها ، تعريب حسن قبيسى السلسلة الفلسفية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1981 ، ص 14 .

(3) راجع خاصة كتابه « حافظ وشوقى » .

(4) راجع كتاب « الديوان » لعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى .

(5) رأى أدونيس كنموذج فقط .

السلفية رفضها طه حسين ، كما رفضتها مدرسة الديوان وكل الاتجاهات العربية الحديثة . لان المسألة ، فى عمقها ، اختيار لاتجاه الحداثة . ويرد السلفيون بان هذا الموقف المضاد لاختياراتهم فى طبيعة العودة الى الماضى رفض مسبق ونهائى للتراث والتاريخ ، حتى تصل مراتب الرفض الى الدين كنتيجة طبيعية (حسب السلفيين دائما) لارتباط القديم باللغة ، واللغة بالدين . لا نعلق الآن على هذا المنطق الصورى فى الحجاج ، يكفى ان نوضح اختيارهم الشعرى (وقد تبدلت مواقعه مع مرور الزمن) كوجه لاختيارهم الاجتماعى التاريخى ــ السياسى . ذلك حقهم فى الاختيار .

وليتم الحوار حول الرأى السائد فى كون شوقى المعلم الاول (أو الثانى) ذلك النص الذى قال عنه د. محمد حسين هيكل : « اقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمانية اليونانية التى مطلعها :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب وينصر دين الله أيان تضرب

أو قصيدته فى رثاء أدرنة أو تحيته للترك ايام حرب اليونان . اقرأ أيا من هذه القصائد التى قيلت قبل الحرب الكبرى ، أو اقرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على أثر انتصار الاتراك على اليونان . كقصيدته التى مطلعها :

الله أكبر .. كم فى الفتح من عجب ! يا خالد الترك جدد خالد العرب

وانك لمؤمن حقا بان هذه القصائد التركية هى أقوى قصائده عن الحوادث واصدقها حسا وعاطفة » (6) .

سنكتفى هنا بنص واحد ، وهو الثانى ، لما يمنحنا من امكانية مباشرة الحوار على مستويى : الشاعرية والرؤية للماضى ، ومن خللهما استنطاق العلائق المرئية واللامرئية بين الشاعر والشعر من ناحية ثم بين الشاعر والماضى والمستقبل من جهة ثانية . فاختيار هذا النص ذو طبيعة مزدوجة فى مساءلة التراث والتجديد ، ومن الممكن ان يلم البحث مستقبلا بقضايا اخرى (وليست اهم بالضرورة) وهو يقرأ احدى الخمريات (حف كأسها الحبب) والاندلسيات (يا نائح الطلح أشباه عوادينا) .

---

(6) محمد حسين هيكل ، مقدمة الطبعة الاولى ، الشوقيات ، ج 1 سنة 1961 ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

من يراجع كتاب « حافظ وشوقى » للدكتور طه حسين (7) يدرك أن هـذه القصيدة كانت مناسبة لاختبار الذوق الشعرى العام فى مصر ، وتأثير هـذا الذوق على مواقف النقاد ، ونوعية اهتمام النقاد المجددين بالشعرية العربية ، وعن خللها بقضية العلاقة بين التجديد والمعارضة .

أ ـ الذوق الشعرى العام : يقول طه حسين : كنا جماعة منا العمامة ومنـا الطربوش ، منا المصرى ومنا السورى ، منا المسلم ومنا غير المسلـم ، وكنـا جميعا مرتاحين الى انتصار الترك . متشوقين الى مـا يسجل هـذا الانتصـار ويشيد بـه .

وتناول شاب منا الصحيفة فأنشد القصيدة فى شىء من الحماسة غريب ، وفى شىء من الاتقان فى الصوت واخراج الحروف وتقطيع الوزن وقذف القافية كما تقذف الحجارة فرضينا واعجبنا ، وتحمس بعضنا فصفق وافترقنـا على أنها قصيدة رائعة (8) .

ب ـ تأثير هذا الذوق على مواقف النقاد : يقول طه حسين أيضا : «ثم التقينا (هو وصديقه محمد حسين هيكل) فى مجلس من هذه المجالس التى أخلو فيها اليه وحدنا فنتحدث فى حرية ، وينتهى بنا الحديث فى كثير مـن الاحيان الى ما يكره كثير من الناس • فأعدنا قراءة القصيدة وحينئذ لاحظت أنت ولاحظت أنا : اعجابنا لم يكن الا ظاهرة اجتماعية (9) ، وأن بين الذوق العـام وذوقنـا الخاص تناقضا غير قليل هذه المرة » (10) .

ج ـ قضية العلاقة بين التجديد والمعارضة : وهى تتوزع عبر المقالة بكاملها، بل انها كقضية عامة شغلت طه حسين ، تتوزع عبر الكتاب كله ونورد هنا فقرة لها دلالاتها الكبيرة « أذكر وتذكر أنت أيضا اننا لهونا يومئذ باخضاع هذه القصيدة لهذا الذوق المعقد ، فضحكنا وأغرقنا فى الضحك والسخرية من هذه الصور العتيقة البالية تتخذ بتصوير الحياة الجديدة الحاضرة » (11) .

---

(7) سنعتمد فى هذه الدراسة على طبعة 1966 ، مكتبة الخانجى بمصر ومكتبـة المثنى ببغداد .

(8) « حافظ وشوقى » ص 36 .

(9) التشديد من عندنـا

(10) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(11) المرجع السابق ، ص 37 والتشديد من عندنا .

كان نشر هذه القصيدة ، اذن ، فضحا للوعى الشعرى الساذج الذى يمجد الخطابة والكلام واثباتا لانشغال النقاد بأمر العلاقة بين القديم والحديث . واحساسهم بسيطرة الذوق العام عليهم وهو ما سينفضح أكثر فى مقدمة محمد حسين هيكل فى ديوان شوقى .

انها القصيدة التى كتبها احمد شوقى بعد معاهدة لسوزان (24 يوليو – تموز 1923) وهى المعاهدة التى حفظت انتصار مصطفى باشا كمال (الغازى كما لقبته الجمعية الوطنية التركية) فى سقارية ثم ازمير فيما بعد .

ويمكن حصر مؤشرات العناصر الاولى للقصيدة من خلل :

أ – ابياتها : تتكون هذه القصيدة (12) من ثمانية وثمانين بيتا ، مقسمة الى سلسلتين :

السلسلة الاولى : من ستة وستين بيتا ، والثانية من اثنين وعشرين بيتا، كل سلسلة تبدأ بتوجيه الخطاب الى مصطفى باشا كمال . فى السلسلة الاولى :

الله أكبر .. كم فى الفتح من عجب ! يا خالد الترك جدد خالد العرب

وفى السلسلة الثانية :

تحية أيها الغازى وتهنئة بآية الفتح تبقى آية الحقب

وكل منهما تجمع بين الغازى (الفاتح) والفتح .

ب – ايقاعها : تندرج القصيدة ضمن بحر البسيط ، ورويها هو الباء ، وحركته الكسر .

جـ – فضاؤها : يلتحم من ارتباط المدح بوصف الاحداث (من بينها المعارك) فى نسق يتآلف الحاضر فيه مع الماضى (سقارية – أزمير – بدر) وتتقارب فيه الامكنة (تركيا – الهند – سوريا – مصر) ، ويظل عنصر التآلف والتقارب بين الازمنة والامكنة هو الاسلام والعروبة .

هذه العناصر الاولية ، مفردة وجمعا ، هى التى منحت القراء جوابا عن سؤالهم فى تلك اللحظة وخاصة الرأى العام ، وفى الوقت نفسه رأى فيها

(12) راجع ص 29 من الجزء الاول من « الشوقيات » طبعة 1961 ونفترض ان القارىء يعرف القصيدة ، كما يعرف قصيدة أبى تمام .

المثقفون ، والنقاد منهم خاصة ، علاقة بعيدة الدلالة بالقصيدة فتح عمورية لابى تمام . يقول طه حسين « ثم سكت حينا وسألتنى : وأين أنت من قصيدة : أبى تمام التى يمدح بها المعتصم وقد فتح عمورية ؟

قلت ذلك فوجهت لك ثم رأينا معا أن شوقى انما اتخذ قصيدة أبى تمام هذه نموذجا حين أراد أن ينظم قصيدة فى انتصار الترك » (13) .

هكذا اتضح بسهولة للنقاد آنذاك هجرة قصيدة أبى تمام الى قصيدة أحمد شوقى فأصبحت الاولى نصا غائبا بالنسبة للقصيدة الثانية .

تهدف الشعرية الى الكشف عن أدبية النص الادبى ، لا كحالة مفارقة لمعيار ، بل كنسق وسياق وتحول (14)، وهو ما يفترض قراءة النص من خلل ما ينسجه ويبين نصيته ، كما أن الكشف عن الادبية يتعدى ملاحظة الخارجي والهامشى كعنصر معزول وينفذ الى تركيب النص وطبيعة اقتصاده اللغوى ودرجات تحقق انسجام ترابط العناصر المتضادة فيما بينها .

على ان محاولتنا فى القراءة الحالية لن تنشغل بتمام هذا الهدف عبر استقصاء مكونات وقوانين المحور الترابطى Syntagmatique والمحور التواردى Paradygmatique ولا مساءلة هذه الحدود العامة للشعرية أو علاقة الشعرية بالالسنية ، لان القراءة هنا مقتصرة على علاقة قصيدة شوقى بالنص الغائب ، أى ما يعرف بالتداخلات النصية .

ان النص ، كدليل لغوى معقد ، أو كلغة معزولة ، شبكة تلتقى فيها عدة نصوص . فلا نص يتوجد خارج النصوص الاخرى ، ينفصل عن كوكبها . وهذه النصوص الاخرى اللانهائية هى ما نسميه بالنص الغائب ، غير أن النصوص الاخرى المستعادة فى النص تتبع مسار التبدل والتحول حسب درجة وعى الكاتب بعملية الكتابة ، ومستوى تأمل الكتابة لذاتها (15) .

---

(13) « حافظ وشوقى » ص 39 .

(14) Henri Meschonoc, pour la poetique I, le chemin N° RF, Gallimard. 1970, p. 49.

(15) Roland Barthes, l'université Bordas VIII Littérature, 2e préface

ننفصل هنا عن مصطلحات : المعارضة ، النص المعارض ، ننفصل أيضا عن تعدد المصطلحات المتمحورة حول « السرقات الشعرية » ذات البعد الاخلاقي (الاثم الاخلاقي) ، ما دام وجود النص ، أي نص ، يستلزم وجود نصوص أخرى سابقة عليه أو متزامنة معه. كما أن الانفصال عن مصطلح «المعارضة» ومشتقاته ناتج عن كون العلاقة بين النصين المعارض والمعارض لا يمكن أن تقوم على التماثل « فنحن ننسى أن العلاقة بين النصين ليست من نوع التكافؤ البسيط » كما يقول طودوروف (16) .

وتتم اعادة كتابة النص الغائب في النص من خلال قوانين ثلاثة هي : الاجترار والامتصاص والحوار (17) ، وفي الوقت نفسه من خلال مستويات لوائح الكلام التي تشكل ما يمكن تسميته بمجموعة من النوى ، المركزية منها والهاشمية ، وهي الدليل ، والمتتالية ، بحسب تعريف شومسكي لها ، وما بعد المتتالية ، أي الفقرة أو النص . وجميع هذه النوى ، أو بعضها دون البعض الآخر تتبادل المواقع في النص ، تغير السياق وتتغير لادلتها عبره ، مما يعطي النص حركة دائمة ، ويخضع مجموعة النوى ، مركزية وهاشمية ، للعبة الحياة والموت . ودون ادعاء الممارسة النظرية ، أو الوصول الى بلورة منهج ، يتسع الحقل المفهومي لقراءة النص الغائب كخارج داخلي .

يمكن استخلاص مكونات أو عناصر دال التداخل النصي لدليل شوقي ، أي البنية السطحية لقصيدة شوقي ، كدليل ، معقد ، من خلال ما يلي :

أ ـ دال النص المهاجر (قصيدة أبي تمام) الذي تتحدد عناصره في :

ـ عدد أبيات القصيدة ، وهو واحد وسبعون بيتا ، والقصيدة من مطولات أبي تمام .

ـ ايقاعها المركب من بحر البسيط ، وهو من بين التشكلات الايقاعية المنفصلة ومن بين الاكثر استعمالا في شعر أبي تمام (18) ، وفن رويها (الباء) ، الاول

---

(16) T. To dorov. 2e poétique point N° 45, 1968 p. 13

(17) راجع كتاب « ظاهر الشعر المعاصر في المغرب » محمد بنيس ، دار العودة ، بيروت ، 1979 ص 253 .

(18) Jamah Eddine Ben Cheikh, poétique Arabe, Editions Anthropos, Paris 1975, P. 218

في الاستعمال لديه أيضا فبائيات أبى تمام تصل الى 72 من مجموع 328 قصيدة، أى بمعدل 17 ٪ (19) ، ومن حركة الروى (الكسر) الذى هو الاخر فى المرتبة الاولى . اذ يصل فى شعر ابى تمام الى 51 ٪ (20) .

ـ معجمها : المعرفى ، الطبيعى ، الحربى ، التاريخى ، الجغرافى ، وافتقاد القيود الانتقائية للمعجم ، مما أنشأ ما سماه القدماء بخصيصة البديع ، ولكن الظاهرة الاسلوبية ـ البلاغية ليس بمقدورها أن تلم بالنص كتركيب متكامل وككتابة .

ب ـ مدلول النص المهاجر الذى ينبنى نسجه عبر فضاء النص من مدح ، ووصف ، وتآلف بين الماضى والحاضر ، وتقارب الامكنة ، ولحمة الاسلام والعروبة لهذه المكونات .

أما مدلول النص الغائب كتداخل نص فيتجلى من خلال التأثير المتعدد المستويات فى قصيدة شوقى . ويمكن اعطاء الصورة الرياضية لهذا التداخل النصى (21) .

$$\text{دليل التداخل النصى} = \frac{\text{دال النص المهاجر اليه (= دال النص المهاجر + مدلوله)}}{\text{مدلول النص المهاجر اليه (= التأثير)}}$$

يمكن أن تتموضع دلائلية (سميائية) التداخل النصى فى عزل العناصر أو المكونات المشتركة بين النص المهاجر (النصوص المهاجرة) والنص المهاجر اليه (22) ، ثم البحث عن قوانين الهجرة .

---

(19) Ibid, p. 169

(20) Ibid, p. 175

(21) نفيد هنا بالدرجة الاولى من :
A. Boureau, pour une semiopogie de l'intertextualité in linguistique et semiotique, publications de la faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat, p. 50.
مع مراعاة استعمال النص المهاجر والمهاجر اليه ، بدل مصطلحى الكاتب المذكور

(22) Ibid, p. 53

ويتضح عبر الاستقراء العام أن الخصائص الايقاعية لقصيدة ، شوقي تحيلنا على الخصائص الايقاعية السائدة في شعر النصف الاول من القرن الثالث للهجرة .

واذا كان نص شوقي يندرج ضمن البسيط ، فان هذا التشكل الايقاعي هو الثالث من حيث الترتيب في النصف الاول من القرن الثالث ، ويمثل 15،27 ٪ من التشكلات الايقاعية المستعملة في هذه الفترة ، يتقدمه الطويل به 18،81 ٪ ، والكامل ، سيد هذه التشكلات الايقاعية بـ 20،60 ٪ والمرتبة الثالثة هي نفسها التي يحتلها في شعر أبي تمام (23) الذي يمثل كل من الكامل والطويل والبسيط والخفيف والوافر 82،65 ٪ من مجموع شعره .

وكثرة استعمال البسيط في هذه الفترة تلتقي مع كل من استعمالات الروى (الباء) وحركته (الكسر) فاضافة الى مرتبته الاولى لدى أبي تمام ، يصل الى المرتبة الثالثة في ديوان البحتري . وسواء بالنسبة لابي تمام أو البحتري أو « الاغاني » فان الكسر يظل في المرتبة الاولى (24) .

ايقاعيا ، تمتد العلاقة بين قصيدة شوقي وشعر النصف الاول من القرن الثالث . ليس هناك أبو تمام وحده ، ولكن شعر هذه المرحلة برمته . على أن الايقاع وحده لا يضبط مركزية التداخل النصي ، ويظل دليل أبي تمام (قصيدته) وحده يشكل النواة المركزية (الى جانب الايقاع نجد المعجم والفضاء) ، فيما تظل النصوص الاخرى ، لابي تمام وغيره ، للفترة نفسها ولما قبلها وبعدها ، نوى هامشية . هناك هجرة اكثر من نص غائب الى نص شوقي ، واعتماد نص أبي تمام كنواة مركزية لنص شوقي تجلى « بالنسبة للكاتب والقارىء ضمانة ومظهرا للادبية (25) في تلك المرحلة . وككل نص غائب ، مركزي و / أوهامشي خضع نص أبي تمام ، وغيره ، لاعادة الكتابة في قصيدة شوقي ، بمعنى أنه خضع للتبدل والتحول تبعا لقانون قراءة شوقي للنص الغائب ونوعية الوعي المستحكمة فيها .

(للبحث صلة)

محمد بنيس

(المغرب)

---

(23) J. E. Ben Cheikh poétique Arabe P .219

(24) Ibid P. 172

(25) A Boureau, pour une semiologie de l'intertextualité

.. جرحاً بستِّ ضفافٍ

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

الجرح الراسف فى أول ذكرى .. والأمل الآزف يخبو فى عيونى من الجهات الست .. أتحلم أيها الفدائى المثكول **فى صبرا وشتيلا** ؟ أم ما بيديك حيله ؟ فلتغضب اذن (*) .

سألتُكَ آخرَ وجهٍ لقَافِلةِ الراحِلِينَا ..
لتوسعَ نافذةَ الحلم فينا ،
أجبتَ : لماذا ؟
ونابُك يطحُن نابهُ حينا ..
وحينا تُهلّلُ : — يا كوةَ الفرحِ ابتسمي
هي الآنَ موقوفة قدمي ..
والفواكهُ حنظلْ ..
وكلّ الذين أذابوا بها الثلج ..
حينَ تزودَ بالنفط مركبهم من دمِي ..
وكل الذين يضخون خارج شرياننا : الدفقَ
والعشقَ ..
والعتقَ ..
والأغنياتْ ..

(*) من ديوان « .. وأجهش بالغضب » يصدر قريبا عن « الأخلاء » .

يكيلون لي تهمةَ الإلتفاتِ إلى منْ سياتي
وضمٍّ اليدين عليه بغير سلاحْ ..
وهلْ تركوا لي سلاحًا أضمهُ إلا فمي ! ؟

* * *

وأسألُ أول منْ قامَ يرحلُ عكس خطاهْ :
– «أتمضي ؟ ولكنْ لماذا .. ؟
وفي شفتيك ازدحام الأزقة بالضيقِ
ليتك افرغْتَ قبل المجيءِ ..
سلال ازدحامك في فجوات الزمان الرديءِ !
كما أفرغوا كفَّ طفلك من برتقالة حيْفَا
كما أفرغوا منك كلَّ شوارعكَ العربيهْ ..
لترحلَ عنها إليها
ولكن بدون هويهْ .
كما أفرغوا منك سُمرةَ وجهك ثم ادّعوا
أنها إن نمتْ فيك فهي الطليعةُ للانتقامْ .
ولمْ يتركوك لتحمل عند الرحيل عَدَدًا
قبعات الكلامْ ..
وخلفَك كنتَ تركتَ فراغا ..
يُدَاهِم أوكارها الإبتلاعْ ..
وأصررْتَ أن لا تقولَ لهمْ : « الودَاعْ » !
وقُلْتَ لغزَّةِ مايْ :
– « تبرمجُ غزة للاجتماعْ ..
فليس لنا بُقعة لك .. هيا فإن البقاعْ ..
محددّةٌ للشروع الجديدْ ،

وولْـدُكَ هـذا لقيط يمـارس فيـك الخـداعْ
فـدَعْ لي صـراعـي هنا .. فهنـالك عنـدك مثـلي صـراعْ..
صـراعان يلتحمـان منَ « المُخَلِيـج » .. (*)
يُـدشن ما بيننا افقـا بالشـراعْ
صـراعانِ : هذا دخيـل وذلك داخـلْ ..
صـراعان يختـم هذا النهـاية يبدأ ذاك التـواصلْ ..
فيفصـل ذاك عن الجسم رأسـًا ..
وينحتَ هـذا عـلى الجسـم شتَّى الفـواصلْ
ونسـأل أنفسـنا لنجيب ولـكنْ ..
بـلا كـلمـاتْ ..
عـرفنا الـكلام يجيءُ من الفجـواتْ ..
ومنـهُ إلينـا تسللتِ الهفـواتْ .. »

* * *

ألا أوْسعـوا الهفـوةَ – الأمَّ حتـى
تمـرَّ بنـا الأمهـاتْ ..
ويعبـرنَ آخـر قافلـة المـوتِ قبـلَ الممـاتْ ..
فهـذه أمـكَ في راحتيهـا أزيـز التـرابْ ..
وتظهـر أمي وفي شفتيهـا نشيـد السـرابْ
وهذه أمـهُ فستانها أحمرُ الخصر ، والظهر أخضَـرُ للانحنـاءْ..
وقبقـابهـا أحمـر النعـل والصدريـلهث للخطـواتْ ..
وأحمـرُ .. أحمـرُ ..

(*) المخليج : من المحيط الى الخليج .

أحمرُ أيُّ ممر إلى خطوة الابتداءْ .!

* * *

رمال الشواطىء تشحذ أنواءها ..
شفاه المساكن تطفىء أضواءها ..
ففي معبر الرِّجْل من كل دارْ ..
فتاة تفتق عن ناهديها الصدارْ ..
تحاصرُ وشما تسلق خرق السجارة من باطن الفخذينْ ..
لو اندملَ الوشم في الشفتينْ ..
وأينعَ بينهما الماءُ رغم الجفافْ ..
ولمْ يبق حيا من الوشم إلاكَ
يا أيها الجرح كيفَ نخافكَ ؟ كيفَ نخافْ ؟
وقد ذقتُ فيكَ انغماسَ الحديد من العظم حتى الشغافْ .!
وذاقتكَ أختيَ حتى التفتقْ ..
وذاقتك أميَ.. ذاقتكَ حتى التمزق ..
وذاقكَ ذبحا أبي ..
وذاقكَ رميا أخي ..
وذاقكَ ردما جميعُ الذينَ أطاحوا الإبادهْ ..
وما كانت الأرض قبرا ولكنها رحمٌ للولادهْ
هُمُ العاشقونَ إذًا اتحدوا بمعاني العِبادهْ
يقولون للموتِ :
– « أقبلْ فنحنُ نيامٌ وحضن الحبيبةِ منا وساده
فلسنا نخافك يا جرحُ لسنا نخافْ
ولو صرتَ جرحا بستّ ضفافْ »!

الصادق شرف

لماذا قرأت « عائشه » ؟

بقلم : محمد بن اسماعيل

أتتبع هذه الايام سلسلة من المقالات تنشرها جريدة «العالم» (Le Monde) الفرنسية بعنوان «صمت المفكرين اليساريين» ، يكتبها يوميا ، منذ أكثر من شهر ، كبار المفكرين بفرنسا ٠

ويرجع بى التفكير الى أصحاب الرأى والفكر فى تونس لامر شخصى بحت ، فى الواقع بسيط جدا ، هو أن بعضهم كان السبب فى أن حملت معى الى هنا رواية «عائشة» للبشير بن سلامة ، اذ قررت أن أطالعها وأتبين مدعاة همسات المفكرين عندنا وغمزاتهم وكلماتهم حول هذه الرواية ٠ وهم فى الحقيقة لا ينطبق عليهم عنوان مقالات جريدة «العالم» الفرنسية لانهم ليسوا صامتين ولكنهم يتهامسون ويتغامزون وينفثون بعض الكلمات فى السياسة أو الادب ثم يؤوبون الى أحاديثهم اليومية عن غلاء المعيشة أو مشاق «المرمة» ومعاناة تقاعس العمال فى انهاء بناء « الفيلا » ...

وخزنى حديثهم السلبى عن « عائشة » وبعث فى فضول مطالعتها لمحاولة الاطلاع على حقيقة الامر فى شأنها ٠

وفى واقع الامر لم أستمع الى نقد منظم تدعمه الادلة ويقويه البرهان ، وانما شاهدت بعض الحركات اليدوية او التجعدات على الوجه المصحوبة ببعض العبارات المقتضبة الدالة على عدم الرضى أو على السخط ، فى غير ما تصريح واضح عن الرأى أو تعبير شاف عن الحكم ٠ وكان هذا عندى ، من طرف مفكرين ينتسب بعضهم الى الجامعة وبعضهم الى التعليم الثانوى وبعضهم الى الثقافة ، مدعاة الى الاستغراب وحافزا على استكشاف الامور واستقصاء الحقيقة٠

ثم بلغنى خبر ندوة أقيمت بنادى أبى القاسم الشابى «بالوردية» حول الرواية ، فأسفت لعدم علمى بها قبل أوانها ، خاصة أنه يبدو أن النقاش فيها

كان قيما ، تناول الموضوع بالعلاج المنظم والبحث الرصين ، بمحضر المؤلف ومشاركته . وقد قابلت عرضا رضوان الكوني ، أحد المقدمين للعروض التحليلية ووعدني بأن يرسل الي نسخة من عرضه ولم تصلني حتى الآن .

فما هو فحوى ما يعبر عنه أصحابنا المثقفون من مثالب الرواية بحركاتهم واشاراتهم وكلماتهم ؟

ان أهم ما انحصر في ذهني من ذلك هو تكاثر حالات الاباحة ومواقف الفجور أو الشبق حسب تعبير يميل اليه الكاتب . ثم انهم لا يرون سبب تأليف الكاتب لهذه الرواية والهدف الذي سعى اليه من وراء ذلك ، خاصة أن هذا التأليف لا يدخل ، في ظنهم ، اطارا أدبيا معينا اذ لا يدخلونه في اطار الرواية ، بحكم انه لا يخضع الى قوانينها ولا يحترم شروطها التي هي اجمالا كالتالي :

1 ـ قصة تتعقد شيئا فشيئا حتى تصل الى قمة ثم تنزل تدريجيا ، مع توافر الحلول ، نحو الحل النهائي في خاتمة الرواية .

2 ـ بطل وأشخاص ، تشابك مشاكلهم وتتعقد بتعقد الرواية ثم تنحل بحلولها .

3 ـ مكان وزمان أو أمكنة وأزمنة تدور فيها حوادث الرواية .

4 ـ وسط أو أوساط اجتماعية تحتضن حوادث الرواية ...

ولقد طالعت الرواية في شيء من التأني والتثبت ، رغم ما كان ينتابني أحيانا من ميل الى الاسراع ولهفة في استكشاف تتابع الاحداث وتطلع لمصير الاشخاص . واذا بها رواية ينطلق موضوعها من قرية وينتقل الى العاصمة ثم يعود الى القرية حيث ينتهي ، وينتهي معه مصير معظم الاشخاص ، ويتم ذلك في أربع مراحل هي :

1 ـ من القرية الى العاصمة :

«الطاهر» شاب يعيش في قرية بالساحل ويسمع بنعيم العيش ورغده في تونس (العاصمة) . يهرب من القرية ويتجه الى تونس . بعد عناء السفر

ومتاعب الطريق يصل اليها فينزل عند ابن عمه «الشيخ حسـن» «بمـدرسة زيتونية» . ينتسب هو بدوره الى جامع الزيتونة حيث يزاول الدراسة طيلـة ثلاث سنوات ، غادر أثناءها «المدرسة» وسكن غرفة حقيرة بوكالة ·

2 ـ في القصر :

يلتحق به أبوه «أبي محمد» ويدخله الى قصر أحد معارفه ، «الفريك مصطفى» بباردو ، وهو من كبار القوم المقربين لدى الباي · يعيش «الطاهر» سنوات في ذلك القصر ، مشرفا على ضيعات «الفريك» · يطلع على حياة الخلاعـة هنـاك حيث يعاشر «عادل» ابن «الفريك» · تتغير حياته تماما وتستهويه حياة الترف والتمتع بملاذها فينغمس فيها · ولكنه في نفس الوقت يطالع الكتب ويتناقش مع «عادل» · يتزوج «بزبيدة» ، احدى جواري القصر وينجب منها «عائشة» · ثم تنجب «زبيدة» «الناصر» من «عادل» وينسب الى «الطاهر» ·

3 ـ في حي نهج الباشا :

يمل الطاهر حياة القصر ويتبرم بها فيغادره وأسرته وينزلون في حي نهج الباشا بشقة صغيرة · يتدخل «الفريك» ليمكنه من وظيفة بادارة المـاليـة · ينجب أطفالا آخرين ويتعرف على «سكيلة» ، أرملة جميلة لها ثـلاثة أبنـاء ، أكبرهم «سالم» · يموت «الفريك» ويدخل «عادل» السجن وتسوء حالة القصر وتنتهي فيه الحياة · يشب الناصر على حياة الفساد واللهو والعربدة ويؤول به الامر الى السجن · وتكبر عائشة كالسجينة بدار نهج الباشا ·

4 ـ العودة الى القرية :

يقرر «الطاهر» الزواج من «سكيلة» فيرتحل بها وأولادها الى قريته حيـث يتم الزواج ، وتلتحق به أسرته فيعيش الجميع في القرية · ويلتحـق بهـم «الناصر» بعد خروجه من السجن ·

يقع تبادل الهوى واللذة بين «سالم» و «عائشة» من ناحية وبين «الناصر» و «سكيلة» من ناحية أخرى · يزوج «الطاهر» ابنته «عائشة» من «خـالـد» ، الوكيل بالجيش الفرنسي . ولكنها قد فقدت بكارتها مع «سالم». يفتضح الامر عند زفافها فيطلقها «خالد» · ويتزوجها بعد مدة «المكنز» ، شيخ أرمل في

السبعين من عمره • تتعاطى «عائشة» الهوى واللذة مع «الازهر» ابن أخي «المكنز» . ثم تنتهي حياتها بمرض السل. تدفنها الاسرة بجبانة القرية وتتقبل العزاء •

ولننظر الآن فيما قد يبدو تشتتا للموضوع وتعددا للاشخاص ذوي القيمة المتساوية •

لا ريب أن تشتت الموضوع في الظاهر قد يفضي الى تشتت انتباه القارىء العادي وعدم تمكنه من الالمام به الماما يجعله يدرك بسهولة نظرة المؤلف الشاملة للاشياء ويلم بالاهداف التي يسعى اليها • وقد يتبين هذا القارىء لاول وهلة مواضيع كثيرة لا موضوعا واحدا هاما تحوم حوله أغراض أخرى مختلفة • وهذه المواضيع تكاد تكون في مستوى واحد ، لا يتميز عنها أحدها فيطفو عليها ويشد اليه انتباه القارىء شدا ويستقطبه من الاول الى الآخر • ولعل المؤلف نفسه قد أراد ذلك ، وهو القائل في «المدخل» : ••• أشخاص يتحركون في الحياة والموت ، في السفر والاقامة ••• لذلك أردت تسجيل لقطات من عبورهم لهذه الدنيا ••• » (1)

اذن تكاد تكون لكل شخص من الاشخاص قصة خاصة تجعله يختص في حد ذاته بموضوع رواية • فيبدو أن «لعلي» قصة • ولكن هذا الشخص ظهر في البداية ثم اختفى نهائيا ، غير انه سيظهر حتما من جديد اذ هو أحد أقطاب رباعية «العابرون» • و«أبي محمد» له قصة ، تنتهي بموته موتة طبيعية • وابن العم «الشيخ حسن» ، الطالب الزيتوني ، له قصته ، غير أنا لم ندر عنه الا النزر القليل اذ اختفى واندثر بعيد ظهوره • «والفريك مصطفى» وزوجته لهما بالطبع قصة ، غير ان الحظ لم يسعف « الفريك » لدى المؤلف فلم يعره الاهتمام الكبير بالرغم من أنه احدى الحلقات الكبرى في هذه السلسلة ، وأما زوجته فبقيت طيفا عابرا ، لا كبير ذكر له • وتعبر كذلك حليمة ودوجة وربح وعلجية وفاطمة بنت سكيلة والعجائز ، كلهن في الحقيقة يلعبن من حين لآخر دورا له بعض الاهمية • وأما الآخرون ، فباستثناء الطاهر وعائشة ، فانهم يتساوون تقريبا في استقطاب اهتمام القارىء •

ولعل الكاتب أرادهم كذلك ، يتجاذبون أطراف الرواية ويؤلفون بنيتها العامة وهيكلها الاساسي • فكذا الامر بالنسبة «لعادل» و «زبيدة» و «سكيلة»

---

(1) ص • 5 •

و «الناصر» و «سالم» و «خالد» · كل واحد من هؤلاء له مدار حياته وموضوعه الخاص · وربما هذا ما حدا ببعضهم الى الايمان بأن «عائشة» لا تنطبق عليها تسمية رواية اذ ليس لها موضوع هام واحد تسير عليه من الاول الى الآخر ، وبطل كبير واحد تدور حوله الاحداث وينطفىء ازاءه بريق بقية الاشخاص ·

ولعلنا اذا حاولنا أن نتعمق الامر وأن نعطى الاشياء حقها من العناية والمتابعة ، اتضحت لنا الحقيقة وتبينا موضوع الرواية العام مفروزا من بقية المواضيع الهامشية ، وبدا لنا البطل الاساسى مبرزا عن بقية الاشخاص العابرة المتهافتة من حواليه ·

ولنبدأ بهذا الاخير · فهو فى نظرى لا يمكن أن يكون سوى «الطاهر» اذ عليه تنبنى كل الرواية ، وحوله تطوف كل الاشخاص ، ومن أجله تتعقد الامور ، ولاوامره وحركاته وسلوكه تنصاع كل الاحداث · ان مراحل حياته المتباينة المتتابعة هى ذاتها مراحل للرواية ، وان قمة حياته عندما قرر أن يغادر القصر وينقل أسرته الى نظام من الحياة جديد هى عقدة الرواية القصوى وقمتها العليا تنحدر اثرها شيئا فشيئا الى الحل النهائى · وانما البقية ربى تتفاوت ارتفاعا ولا يبلغ علوها القمة أبدا · وكان «الطاهر» جديرا بأن تسمى الرواية به عوض أن يكون ذلك لابنته عائشة · فهو يغطى الرواية كلها ، من أولها الى آخرها ، ولا يخلو منه فصل من فصولها أو مرحلة من مراحلها ، بينما تظهر عائشة فى مرحلة متأخرة نسبيا منها ثم تختفى ولكن والدها يبقى حيا ، يتقبل العزاء ويدفن ابنته فى جبانة القرية.واذا أردنا أن نحدد موضوع الرواية فاننا نجده مبسوطا بوضوح فى بدايتها ، منذ الصفحة الاولى حيث يقول الكاتب عن «على» ، وهو شخص هام من أشخاص الرباعية ، يرجع الى قريته بعد غياب طويل فيلاحظ ما حدث فيها ، وبذلك تبدأ أحداث الرواية : «لقد عرف أن اللذة والالم هما اللذان أسرا كل من عرفهم حوله فى صغره وشبابه · وقل أن وجد للعقل مكانا كبيرا عندهم · فكم هبت رياح الالم ورياح اللذة على مركب الحياة المهتز فوق لجج العواطف المتأججة ، ولم يجد شراعا واحدا قادرا على الاستحكام وكبح الجماح بالعقل وسلطانه » (2)

وانما حول هذا الموضوع الاساسى تدور كل الاغراض الاخرى ، والرواية زاخرة بها . أليس الفيلسوف النمساوى « فرويد » (Sigmund Freud)

---

(2) ص · 9 ·

هو الذى قال ان الالم هو اقصى درجات اللـذة ؟ وكـل أشخـاص الروايـة «يتحركون فى اللذة والالم» • فالشهوة المحرقة أو الشبق حسب تعبير يهواه الكاتب ، هى المحرك الاساسى ، وهى السبب الاصلى للشقاء والسعادة فى هذه الحياة الصاخبة التى يحياها أبطال الرواية ، يسعون اليها دوما ويتفانون فيها ويرحلون عن الحياة من أجلها •

قال لى صديق يدرس فى التعليم الثانوى ، مشيرا الى وصف تلذذ «ربح» و «عادل» بعملية غسل ساقيه من طرف «علجية» أحيانا و «ربح» أحيانا أخرى «حسب الحالات النفسية التى يمر بها» (3) : « لا ، ليس هذا موجودا البتة فى مجتمعنا التونسى». وطفق يقرأ النص، فى شىء من الحفر المفتعل، يخونه تلذذ واضح كفانى دليلا على ايمانه الباطن بعكس ما يدعيه • هذا موجود لا فى المجتمع التونسى فقط بل فى كل المجتمعات البشرية • هى سليقة الانسان لا يختص بها شعب دون آخر ، وانما تكون خفية مكتومة عند بعضهم وشائعة متفشية عند آخرين • ويكفينا ما يروى عما يجرى فى بعض البيوتات من تفنن وتنوع فى اللذائذ الجنسية الآن لنعتبر عادية جدا «غيبات عادل الشهوانية وطقوسه الجنسية» ولنتصور فى يسر ما كان يجرى فى قصور البايات وأتباعهم من قبيل هذه الاعمال •••

وكثيرا ما رجعت بى الذاكرة ، وأنا أطالع «عائشة» ، الى روايـة «غستـاف فلـوبيـر » (Gustave Flaubert) ، « السيـدة بوفـارى »(Madame Bovary) فهذا الفناء فى الشهوة والاقبال بنهم ولهفة على اللذة من قبل المرأة ، أجـاد وصفه ، فى ابانه ، الكاتب التونسى مثلما أبدع فى ذلك الفرنسى • ولـذا تبدو لنا نساء البشير بن سلامة فى هذه الرواية ، وعلى الخصوص «دوجة» و «سكيلة» و «عائشة» ، قريبات جـدا مـن «ايمـا» (Emma) ، بطلة «فلوبير» (Flaubert)

ولا أحب أن أتمادى فى هذه المقارنة لان لى بعض العلم بأن صديقى الاستاذ منجى الشملى ، الاخصائى فى الادب المقارن ، يفكر فى اعـداد دراسـة عـن «عائشة» •

---

(3) ص • 75 ـ 76 •

فماهو الغرض من هذه الاوصاف الجنسية ، وهذا التفصيل الدقيق لما يعترى خاصة المرأة من نزوات أثناء تعاطى الشهوة ، تخرجها تماما من المعقول وتدخل بها فى عالم الذهول وفقدان الذات ؟ أليس هذا ما حدث لسكيلة عند ما «وقفت ساهمة لا تدرى ما تفعل حتى عاجلها [«الناصر»] بضمة وقبلة لم تقو على مدافعتها • فتهاوت على الارض وانساقت فى بحر من الشهوة لم تعرفه منذ زمان حتى أصابها شيء من الغشيان وهى حالة لا تعرفها الا مرة بعد لاى عندما تتملك بها اللذة الى حد الفناء فيها • وذعر «الناصر» من حال المرأة ونظر الى يديه المجرمتين ظانا أنه أخذ أنفاسها أثناء طغيان اللذة ، وحركها بشدة ففتحت عينيها وضمته الى صدرها فى ارتخاء مجنون » (4) • والامثلة من هذا القبيل كثيرة فى الرواية ، ولعلها أحيانا أفصح وأدق •

الرواية قبل شيء عمل فنى • وانما الفن الحق حرية مطلقة ، لا حدود لها • ولذا يمكن أن نفترض أن هدف الكاتب فى ذلك هدف فنى بحت • ولكن فى الحقيقة ليس ذلك فقط ، اذ نحن ازاء دراسات نفسية وتحليلات عاطفية لاشخاص يتحركون فى أوساط معينة ، يهتم بها الكاتب فيعالجها من نواح مختلفة ، ترد ضمنها الناحية الجنسية • فهو يقوم بتشريح الاشخاص تشريحا كاملا ولا ينبغى أن يترك شريحة لا يلقى عليها الضوء الكافى حتى لا تكون نتائج تحليلاته منقوصة أو غير صادقة تمام الصدق • انها الثقة العلمية فى التحليل وانها الثقة الفنية فى التصوير • وليس من المستكره بتاتا أن يأتى ذلك فى أسلوب أنيق ، فيه شيء كثير من الاقتصاد ، لكن لا يمكن أن لا تتأثر بجماله وتتفاعل مع دقة وصفه الا نفس غير حساسة •

غير أن وراء كل هذا تندس أغراض كثيرة أخرى : سياسية واجتماعية وأدبية وحتى اقتصادية ••• ولكنها تعالج بخفة وفى غير الحاح • ملاحظات تبدو طفيفة عابرة ولكنها تلم فى ومضات سريعة بمراحل طويلة من تاريخ هذه البلاد • فمثلا نعلم من البداية أن تونس تخضع للحماية الفرنسية ، وأن مدير المدرسة «الرومى» بالقرية يفعل ما يشاء ، وأن المتفقد الفرنسى عندما يأتى الى المدرسة فليس ليتفقد المعلم وانما ليوبخ التلاميذ ويقول لهم : «••• لا تعرفون الا «الهبهبة» فى الكتاب ومحو الالواح فى الاوساخ ، وشم بعضكم لفساء بعض فوق الحصر المليئة بالبراغيث • أنتم لا تعترفون بالجميل وتتنكرون

---

(4) ص • 149 •

لرسالة فرنسا التمدنية · وانكم ستطـردون · » (5) ، وأن عبث البايـات واتباعهم فى القصور أرادته الحماية الفرنسية لتلهى القوم عن السيـاسـة وتستأثر بخيرات البلاد وباستعباد أهلها · والى كل هذا رمز الكاتب بصورة حية تتجمع فيها كل ما قاساه الشعب التونسى من مر العذاب ، وكان أشده العذاب الروحى.قال فى شأن «الطاهر» : « وبلغت به الذلة أنه وقف ذات مرة بباب البحر ينظر الى الرخاء عند الاوربيين واذا به يحس ببلل على ساقه ، فالتفت فوجد كلبا لامرأة أوربية يتبول عليه فنهره على نبرات ضحكات المرأة الساخرة ···» (6)

وهكذا نجد من حين لآخر ، وسط غمرات اللذة والالم ، لقطـات خفيفـة تذكرنا بحالة البلاد وبما تقاسيه من الحماية الفرنسية ومن الذيـن تسلطهـم عليها · فكثيرا ما نجد ذلك فى كلام «عادل» أثنا صحواته القليلة النادرة وانتفاضاته الواعية ، أو فى كلام «الطاهر» ومواقفه فى طوره الاول ، من ذلك مثلا قوله فى نظام الحكم عموما : «كل جهاز وكل هيكل ، قبيلة كان أو عشيرة أو عائلة مالكة ، أو تنظيما جماهيريا أعمى ، يستهين بالفرد من أجل «خير» جماعة ولا يعرف ما يحسه ويقاسيه أفرادها انما هو مصدر العبودية · عندما يسير الفرد فى الطريق ويدخل دكانا ، أو مقهى ، ويعمل فى مهنته ، ويأوى الى داره وهو يدفن فى نفسه ألم فقره ، أو بؤسه المعنـوى أو المـرض الذى يأكله ، أو كابوس عائلته ومهنته ومن حوله ، أو حياءه من نفسه وتهويماتها ، أو خجله من سيئاته ، أو اعتزازه بنبل عواطفه وأتواقه وأشواقـه ولا يجـد الفرصة لتجسيمها أمام اخوانه لتلافيها أو الاشعاع بها فان العبودية ما زالت ساكنة بالمجتمع مهما صلح المستوى المادى وارتفعت درجة المدنية » (7) .

ولعل اهتمام الكاتب اتجه أكثر الى وصف المجتمع التونسى آنذاك ، وخاصة فى العاصمة ، فى الحى الذى أنزل فيه قصدا أسرة الطاهر بعد خروجها من القصر ، حى نهج الباشا الذى كان قلب المدينة فى ذلك الوقت · واذا بنا ازاء وصف للعادات والتقاليد ، فى الشارع وكذلك فى البيت ينم عن اطلاع بديع عليها والمام كبير بضئيل جزئياتها واتقان تام دقيق اللغة فى التعبير عنها.كل

(5) ص · I4 – I5 ·
(6) ص · 30 ·
(7) ص · I03 ·

ذلك يرد عن طريق عائشة ، وملجؤها النافذة تسرح نظرها فيما يحدث بالشارع ، » واذا بالصور الحية تتوالى ، معيدة الى ذاكرتنا تلك المناظر التى كنا نعيشها يوميا ٠ فمن منا لا يذكر فعلا «حلاوة خروب» المصرى «بقامتــه الطويلة ، وجثته العظيمة التى زادها عظما ما يحمله على بطنه من ابريق ضخم مجلب بالنحاس ومحفوف بالكؤوس» ٠ (8) ومن منا لا يطرق سمعه صوت بائع «أم الفلافل» ولا تعود اليه صورته ٠٠٠ كل هذه الحياة اليومية فى شوارع العاصمة وفى بيوتها ، وكذلك فى القرية ومخابئها ، وصفها الكاتب بأسلوب فيه شيء كثير من الضبط والدقة والحركية ، مما يجعل الصورة تتراءى الى القارىء فى غاية الكمال والوضوح ٠

فليس لنا فى هذه الرواية ، بالرغم مما ادعاه الكاتب ، «لقطات من عبـور أشخاص لهذه الدنيا» فقط ، وانما لنا عالم بأكمله يزخر بالاحداث ويتقد حياة ، يتلذذ ويتألم ٠٠٠ وتلك هى سنة الحياة ٠

ولئن كان الذين هدونى الى قراءة « عائشة » قد فعلوا ذلك عن غير قصـد ومن خلال « بعض الظن » ، فأنا لا محالة مدين لهم بذلك ، فشكرا لهم ٠

باريس 23 أوت 1983

محمد بن اسماعيل
أستاذ مبرز
باحث بالجامعة التونسية
باحث مشارك بمعهد علوم التربية

(8) ص ٠ 115 ٠

المرج الأخضر في عينيك

شعر : عبد الحميد مواعده

صَادَ الفُؤادَ هَوَاكِ .. قَدْ أضْنَاني　　　وَمِنَ الهَوَى فَرْط اللظى أفْنَاني
المَرْجُ فى عَيْنَيْكِ أجْملُ واحَةٍ　　　فِيهَا يَطِيبُ الرَّاحُ بالرَّيحَان
يَهْفُو عليَّ هَفِيفُ شعْرٍ نَاعِمٍ　　　نَبَرَاتُ صوتِكِ أعْذَبُ الألحان
تَهْفُو إليْكِ مَحَبتِي وَهَوَاجِسِي　　　وَتَهُزُّنِي فى العُمق كالبُركان
آتِيكِ مِنْ بَلَدِ النَّخِيل مُغَنّيا　　　وَمِنَ الرِّمَال الشّهبِ والغُدْرَان
سَمَرًا .. يَنَامُ الليلُ فى أحضَانها　　　فِي رَمْشِهَا الدَّيْجُورُ كالطوفَان
زَمن المحبّة إذْ تَأَوَّهَ خَافِقِي　　　قدْ غَمَّنِي الإعصَارُ بالشطآن
خَضْرَاءُ تَعْتَنِقُ السَّحَابَ بعنقها　　　قَدْ تَيَّمَتْنِي .. كبلتْ أجْفَانِي
سَأَلَتْ عليَّ الشِّعْرَ يوْما : هلْ أنَا　　　أهْوَى الدّنان ورَقصةَ الأغصان ؟

فَأجَابَهَا :

المَرْجُ في عَيْنَيْكِ أخْصبَ سهلُهُ　　　إني وَهَذَا في الهَوَى سيّان !!

رجل في الظلام

قصة : عبد الرحمان أيوب

[نهاية بداية ... الرحلة ـ 1 ـ]

كانت انغام الربابة الجارحة تداعب مسامعك عندما انطلق صوت رخيم كانه الحلزون المتزحلق ، صوت نورى تثقله أنات الاسطورة العجيبة : اضطرت القبيلة الى التشرد ، فتعاطى رجالها النوم وشرب الشاى ، وما انفكوا يتعاطونهما :

« يا باي الاصائل والرجل تحس الركاب » ، بينما تتمطى المرأة تحت خيام « الخيش » ـ وهل تقي هذه زمهرير الفصول وكيها ؟ ـ : نورية ، دفوف ورباب سقيم : ألم تسمع مطلع مواويلهم « لعنة الله سجن / لعنة الله نور » ؟ ألم تدرك بعد ان الشعوب ـ كل الشعوب ، أى نعم ؟ ـ التى تقهر يطربها شتم نفسها : « اخذوا مني الماء وخلوا لى السراب » ...

نظرت الى يمينك فداهمتك الستائر بلونها الجديد . التفت الى يسارك فكانت نوافذ قليلة ، ثلاث أو أربع قد جلبت شموعا منذ ان حللت بهذه الديار : متى يا ترى ؟ أنت لم تمض بما سوى عشرين يوما . كنت تتجول فى مدن أوربا ، بعض المدن فقط . كنت تتوق فى كل لحظة الى التحليق فى الاجواء : الطائرة . ولكنك تمقت الانتظار فى قاعات المطارات . هل تذكر اليوغسلافى طويل القامة فى مطار «سبليت»؟ استغرب مطالعتك لمختصر تاريخ يوغسلافيا وانت على وشك مغادرتها . واجهك بقوله : كان من الافضل ان تطلع على التاريخ قبل الحلول . نظرت اليه نظرة فارغة ثم غمست عينيك فى كلمات انجليزية متتالية كحبات المسبحة السوداء التى اهداكها الحاج ... عشية يومك هذا ... الحاج لا تذكر اسمه بل انك لا تذكر الاسماء مطلقا . تكتبها خلسة وتراجعها المرات والمرات خلسة وتبتسم لكل انسان يشير اليك

يتقاطع وجهه ، بحركات يده ، بابتسامة ثغره ... بكلمة ، وتكون قد أعطيته الفرصة ليبادرك بالحديث ... ولا يعودك اسمه ثم تعود خلسة الى أوراقك ـ انت تعمد كل مساء الى افراغ جيبك من رزنامات الاوراق الصغيرة التى تدون عليها الاسماء والمشتريات والفكر السانحة و ... و ... فتطمئن الى اسم لم تسترجعه فى حينه . رفعت رأسك ببطء عندما وضع اليوغسلافى أمامك قدحا صغيرا جميل الصنع ، مقهقها : « شليفوفتسا ؟ » ، وبما أنك لم تقرأ مختصر تاريخ يوغسلافيا قبل حلولك ـ هل جئت الى هنا لحضور المهرجان الاولمبى للرياضة ؟ ـ فانك لم تفكر فى شرب اشهى كحول عندنا . والحقيقة ان اجود أنواع الشليفوفتسا يوجد فى ماسيدونيا وانت فى ماسيدونيا الآن يا سيدى الطريف ، أتعلم ذلك ؟ ـ وكنت تقرأ حول مقاطعة بوسنيا ولم تفهم ما يقصه عليك مختصر التاريخ فقد تشبثت بفكرك تلك الاقاصيص التى كتبها « البوسنى ايفو » حول « الوزير » وأخذك الحنين الى اسطنبول ومآذنها ومكتبة آيا صوفيا ومخطوطاتها الغزيرة وازداد حنينك لانك لم‌تذهب بعد الى‌اسطنبول ولم‌تقتحم‌مكتبة آيا صوفيا، ـ قد لا تعلم،فانك‌تقرأ يوغسلافيا عند مغادرتها... وفى وجهك قهقهة من‌جديد فازددت له انتباها.وانت تعجب حقا بالانسان الذى يجيد القهقهة . وحملقت فيه فتدلى شارباه المعقوفان على ناحيتى شفتيه المنقبضتين : كان بياض السكر يرسم خطا مجسدا تحت شفته السفلى . وقف نظرك عنده . لقد رأيت أكثر من مرة هذا الفم وهذه الشوارب : صحيح كنت رأيتها خلف زجاج كل المغازات التى تبيع الصناعات التقليدية بمدينة (زغرب) معلقة على افواه الدمى المنفرجة القدمين كخادم دنكشوت المصنوعة من خشب طرى أبيض مصفر . ولم ترغب ان تدفع نظرك الى عينيه . فنظرك غير الحاد نصف الحالم يزعجك : كلما نظر احد فى نظرك ظنك تنظر اليه ولكنك لا تنظر فيه . لم تكن ترغب ان تدفع نظرك الى عينيه حتى لا ينقطع عن الكلام ولكنه انقطع عنه ، لست تدرى متى ، ولكنه انقطع عن الكلام ... فحملقت فى شعره الملولب المطرز ببياض الشموع التى كانت عصاراتها تتدلى على فوهات الزجاجات الخضراء فى مطعم اشبيلية ، حيث كانت ولادة تعانق عناقا دائما ابن زيدون : اليد فى اليد ـ كذا الشوق بل الحب عند العرب، هل هى قهقهة اليوغسلافى التى تدق على طبلة اذنك ام هى قهقهة ابن زيدون المتألمة ؟ ـ ، حيث كانت تلك الاسبانية ذات الشعر الاسود الذى يلتطم بتشنج على خصرها ونهديها ترقص الفلامنكو كالمجنونة وكنت تضرب بقدميك الارض وتقرع الطاولة من حين لآخر وتشرب القدح وراء القدح وتلاطف بعنف زوجتك التى كانت تطالب دقيقة بعد دقيقة وباصرار أن تخرجا من مطعم اشبيلية : وكنت تبرز اسنانك البيضاء ـ التى تعتقد صديقتك اليوغسلافية

انها من البلاستيك ـ الى الراقصة « الفلامنكية » التى لم تقترب منك ـ رغم رغبتك الشديدة فى ذلك ـ شبرا واحدا . ولم تنتبه الى زوجتك وقد غادرت مطعم اشبيلية وحدها . بل من ادراك انها غادرته وحدها !؟ ـ ولم تنتبه الى انك دفعت كل المال الذى حملته معك لقضاء نصف شهر باسبانيا . ولم تنتبه ايضا الى من ادخلك فى قميص النوم الاخضر . وحملك الصداع فى أروقة قصور اشبيلية وغرناطة ـ وكانت تحدوك كالطيف المتموج أغنية « باسي » : « يستحيل أن أعيش معك ولكنى اعلم انه من المستحيل أن أعيش دونك ... » ـ وتحت تمثال الميمونى وبين عرصات المسجد ـ الكنيسة ، ومع الاسبانى الشاعر المجهول الذى كان يحتسى كأس النبيذ على صحة شعراء اسبانيا الفرنكية الذين استشهدوا فى سبيل الحرية ، ولكن كما يقول : مر التاريخ بجانبهم ؛ وكاد الصداع يسقطك من القلعة كانت القلعة مرتفعة ، مرتفعة جدا مثل ذلك القطار السلكى الذى صعدك واياها الى أعلى جبل (زغرب) وكانت تبدو عليك كل علامات الخوف وكانت هى تضحك وتقول لك : « أحبك ... أنت كالطفل الذى تعوده أمه على القفز من فوق المائدة الواطئة » ، فسرحت عينيك فى مدينة (زغرب) وقد شملها دخان المداخن بينما ارتمى نهرها الفضى القديم بعيدا عنها ، واضعا حدا عميقا بين المدينتين القديمة والحديثة ، وشاهدت الخيمة البلاستيكية التى رفعها الامريكيون وتحتها لوحات من الرسم الحديث : قطارات وناطحات سحاب ومركبات فضائية ، كلها زرقاء اللون تتالق فيها نجوم باهتة مثل تلك التى تألقت فى سماء شمال السويد فوق قطيع الجدي المندفع نحو البحيرات فى منطقة « اللابون » التى استهوتك تحت قبة متحف (زغرب) حيث عرض السويديون نماذج من حياتهم اليومية وكانت صديقتك اليوغسلافية تقرأ الملاحظات التفسيرية وتترجمها لك بعصبية وتقول من حين لآخر : « لا أرغب فى ان تذهب للسويد فكفاك انك افرغت مخك بين فخذي تلك السويدية البيضاء كلحاف الموتى » ، وأدرت نظرك الى الشرق ملاحقا حديقة العاب للاطفال ، أين اشتريت وصديقتك بطاقتين للتحليق فى طائرة صفراء موثقة الى اسفل وكنت متشبثا بقضيب الحديد الوسطى وكانت هى تصيح بأعلى صوتها : « انظروا لهذا الطفل ، انه خائف » : ويومها منحكما صاحب الالعاب تحليقة اضافية مجانا جعلتك ترجع كل ما اكلته بذلك المطعم المرتمى كمقدمة السفينة بباطن الارض ...

وتفاقمت القهقهة فارتشفت قطرة من الشليفوفتسا ونظرت فى عينيه : كانت بيضاء ، هادئة ، نصف حالمة ـ كان صامتا ـ ونظره واقفا بشفتيه

المنقبضتين مثل شفتي استاذ الادب العربي بجامعة السربون اللتين ما انفرجتا عن اسنانه المنحرفة الى داخل فمه الا عندما اعلنت الاوساط العلمية المحترفة عن وشك اقتحامه ابواب « الكوليج دي فرانس » . ويومها علم كل واحد أنه ، رغم شفتيه المنقبضتين ، لم يبلغ الستينات . وخجلت : لانك تذكرت انك لا تعرفه وعادتك انك لا تبالي بمن لا تعرفه ... فنظرت في عينيه من جديد وقد انتفخت اكياسهما الجلدية وتجعدت ، ولم تكن قد لاحظت تجعد أكياس عيني أمك الا عندما تخرجت من الاعدادية ، عندما قالت لك : « الآن قد اصبحت رجلا ؟ فلتشق طريقك مثلما تشاء ؟ » وعندها احسست انها تتكلم مثل العقلاء فانتبهت الى تقاسيم وجهها ولاحظت تجعد اكياس عينيها . وقلت لها مطاطـأ الرأس : « لقد شرعت في شق طريقي منذ ان عرفت ان لي أبا وأنه انتقل الى باطن الارض».وعندما استغفرت الله خرجت أنت من المنزل وفي راسك تتلاطم عبارات أمك . أخذت الطريق .

وقلت له : انك اشتريت هذا الكتاب من المطار.وقد جئت الى يوغسلافيا ولم تقرأ عنها شيئا ما عدا المقالات الصحفية حول سياسة تيتو والمقالات الصحفية حول اشتراكية تيتو والمقالات الصحفية حول بعض المؤلفين اليوغسلافيين البارعين الذين يكتب حولهم النقاد المجندون في الصحف الاسبوعية ، ولكنك تعرف عنها الكثير ، الكثير تعرف عنها . وانك تفارقها ومعرفتك ازدادت بها وانك ستعود لان يوغسلافيا جميلة وان النساء اليوغسلافيات لهن أنوثة جذابة وان السهرات المطعمة « بالشليفوفتسا » مع الفجر اليوغسلافيين ممتعة وان العازف على الكمان في احد مطاعم ضواحي (زغرب) كان فعلا رائعا حتى ان صديقتك انقذفت عليه وقبلته قبلة مفرقعة جلبت انتباه كل الحاضرين بينما أخذت أنت زجاجة الكحول ودققت بها الطاولة فاقترب منكما عازف الكمـان وأخذ منك ربطة عنقك البيضاء ووضعها على كتفه الايسر فازدادت شواربـه السوداء القاتمة نصوعا وراح يغني لكما أغنية لم تفهم عباراتهـا الا بعـد ان ترجمتها لك صديقتك ، حينما احسست بحزن مفـاجىء : كانت التـرجمة تشعرك بأنك غريب ، غريب في يوغسلافيا وفي أى مكان تجهل لغة ساكنيه . وازداد حزنك لانك تعلم الطريق التي شرعت في شقها منذ أن مـات أبـوك وانها ستكون أوربا...بين مداخنها ومعالمها وجامعاتها وحاناتها ، بين مجاملات عبادها وعنصريتهم ، بين حدائقها وملاهيها . وكانت الاغنيـة عـذبة مثـل رحيق صديقتك التي لا بد وانها تذكرت بعد قفزتها على عازف الكمان الغجري انك عربي وان دم العرب يفور بسرعة مدهشة اذا ما مسح احدهم نظره على

جزء من جسد المرأة المصاحبة لهم ، فعانقتك وعانقتها ــ لا تذكر بالتحديد من كان المبتدى ــ عناقا طويلا حتى ان عازف الكمان ذا الشوارب السوداء توقف عن العزف وراح يصفق ويصفق ويصفق فصفق الحاضرون وتوقفتما عن العناق ثم حملتما جسديكما وخرجتما من المطعم مترنحين ــ وكنت تشعر بأن الحياة في تلك اللحظة جميلة فأعادك ذلك الشعور الى احساسك المستمر بأن الحياة عبث دائم وانت تتصارع والعبث لتضفى على فسيفسائه مضمونا ، مقنعا ، فأعادك صوتها وكانها أحسست باحساسك : انك تكرر على مسامعي كل يوم : « املئى نفسك بحياة اللحظة » ، فمالك تغوص الآن في غياهب الحيرة ، وهل يسطو التشاؤم على المناضل ؟ ــ وقصدتما الفندق وكانت تردد على مسامعك بصوتها الخيشومي الناعوري الدافىء صوتا لا تدرى أهو من صنعها أم اقترضته من أغنية انجليزية :

« سر معى يا حبيبى ...

سر معى فوق أوراق الخريف الحجولة .

فاننى لا أحس بالمطر .

لاننى اتخذت من هواك مظلة ... »

وفي الفندق شربتما وشربتما : تلاشت امام عينيك تقاسيم وجهها النحيف الذى لم تبق منه بارزة الا عظام وجنتيها المحمرتين مثل سقوف بيوت حي العمال الهرمية الذى انتشر تحت نافذة شقتك المعلقة بالطابق السابع من « الفندق العالمي » بـ (زغرب) : نافذة واحدة على حياة زاخرة بمئات المداخن ، مصنع قطع القاطرات والجرارات الطويلة حيث كان يقف ساعات فراغه القصيرة الطويلة يحملق في الدخان المتصاعد منها مثلما يتصاعد دخان سجائره الملولب من خياشيمه : كان يحملق طويلا فيها ، وقليلا ما كان يتكلم . ويلتفت نحوك ببطء حركة وجهه المعهود وكانه نسي انك تقف جنبه ، ثم تعود الى ذاكرته رويدا رويدا كما تعود عدسة آلة التصوير شيئا فشيئا لتلتقط في لمسة واحدة لوحة كاملة ، وقد جئت من باريس لزيارته وقد احمرت عيناه كما يتقد فرن تكرير الحديد وادمعت كسيل الحديد السائل ويقول لك بيد خشنة فقدت نعومة مراهقته ، تضرب بعنف طاولة الصالون : انك سوف تبقى تعيش في الخيال ، في الحلم ؟ وانك لن تقدر على لمس وضعية العامل اذا ما نزلت الى المصنع، تباشر القساوة وتمارس مرارة الحياة، اما ان تتدفأ يوميا بقراءة ماركس

ولينين وسيغي وغيرهم وتتحدث عن اصلاح وضعية العمال بترديدك من حين لآخر : « الا هبوا يا عمال العالم لتتحدوا » وتمليكهم المصانع ... فصوتك لن يسمعه سوى حائط مكتبك بل صوتك لن يسمعه سواك اذ كما تقول الوالدة : « وآذان للحائط صاغية » ... ولم تعجبه يوم ذاك . كنت تحبه كثيرا وترتاح لتوبيخه ارتياحك لتوبيخ ضميرك : فصوته عندك صوت الحقيقة . ألم يسألك ليلة رأس السنة : « أخى هل تحب الحياة ؟ » فاستغربت سؤاله وسرت فى جسدك قشعريرة جليد مدينة باريس وحملقت فيه وقد اختفى نصف وجهه فى عتمة النور الجانبى الذى كان على يساره ، وقلت له : — وهل كنت مقتنعا — « بل أحبها » . فأردف بحقيقته المحيرة : « اما انا فلست ادرى » . وامتص كأس الوسكى الذى كان قد استصبه دفعة واحدة بسرعة القطار الذى كان بعد يومين يحملك لترى جثة أخيك وقد انعم الجليد خشونة بشرتها ، لتشاهد بعينيك قساوة ومرارة حياة العامل ، لتجهز الاوراق الضرورية لاعادة جثمانه الى التراب الوطن ، ذلك الوطن الذى تكلمتها كثيرا فى شأنه ...

والذى كنتما تتجادلان كثيرا فى شأنه ...

والذى كنتما تحبانه كثيرا ... والذى كنتما تصورانه فى أبهى الحلل . والذى كنتما تقولان عنه دائما : إنكما كلما عدتما اليه أحسستما بالغربة فيه — وتساءلت هل سيفحص الشرطى جواز جثة أخيك عند عودته الى التراب الوطن قبل ان يسمح لها بدخول قاعة المار فتنتظر الجثة ويمر الاجانب غير العرب بهوياتهم أمامها ؟ — وحملت جثمانه وبكيت : بكيته حتى لا تبكى التراب الوطن . وبكيت على انفراد ساعات الليل وساعات النهار ومنذ فارقك الوهم . وبكيت لا لانك تحمل جثمانه بل لانك لا تريد ان تراه بعد فى قبره : فوجهه الملطخ بالدم المزروق ويده الكبيرة بأصابعها الملتوية الماسكة لباسه بصرامة ورجله اليمنى المهشمة تناشدك : « أخى هل تحب الحياة ؟ وأنت أجير بمصنع صنع قطع القاطرات والجرارات ؟ هل تحب الحياة التى تشع شمسها دخانا صبيحة كل يومصقيع ويتلألأ قمرها ضبابا ملوثا مساء كل ليلة جليدية ؟... » ويتوارد اليك صوته مثل الصدى ويمسك رأسك الصداع يضرب بمطارقه ، وبعد لم ترغب مثله البقاء بأرض الوطن التى عاد هو اليها فتركتها انت واخذت تجوب بلاد العباد لا تعرف الاستقرار ... واصبحت تشعر ان الارض ارضك اينما وجدت واصبحت تخشى — فى كل ارض — ان يوجد لك أخ يصيبه ما أصاب العامل الاجير فى مصنع صنع قطع القاطرات والجرارات واصبحت تخشى الصداقة مثلما ترهبك الوحدة ...

وتوقف الشريط ايضا ودفن فى هذا الظلام صوت الربابة الجارح . فاجتاحك صمت شرقى « أربد » (I) رغم قطرات المطر التى لم تدرك كيف جاءت بعيد ساعات من الحر كانت قد اضنكت عيونك . كنت احسست بتعب شديد بعد ان القيت محاضرة المساء فغمرتك السعادة عندما اشارت اليك بزيارة بعض الاصدقاء . ولم تنتبه للطريق التى جرفت سيارتها الهادئة . لم تكن تفكر فى شيء سوى ان تقبل يدها ...

خلو الشقة من غيرك كان يتابعك كلما عزمت على الرجوع اليها...ومارست عيناك الظلمة فاستقرت على الاطار الفضى الذى يحمى صورة ابنتك،وهى تنظر اليك وتسألك عن سبب جلوسك وحدك فى ركن الاريكة وقد ضاع قطها الاسود الملازم لها فى العتمة . تحب هذه الصورة العتمة . تحب هذه الصورة كثيرا مثلما تحب صورة ابنتك المتكئة جنب سريرك التى تلقى نظرة سريعة طويلة عليها كلما اوسدت رأسك وفتشت عن القط الاسود مثلما فتشت يدك عن كأس الوسكى: كأس واحدة تفعل فيك فعلها،لم تكن تستسيغ مذاقه خاصة عندما كنت تقطن فرنسا ... ومنذ اصبحت تأنس للكأس الواحدة ، اذ دونها لتقلبت فى سريرك المرار تلو المرار ... ونظرت فيها مفتشا عن القط الاسود فقد التقطته وابنتك وكانت الشمس فى قطر السماء وزرقة بحر جزيرتك كزرقة الادرياتيك تحت جذوع النخيل النائمة تبعث فيك ذكرى قصة عرائس البحر اللآتى أنقذن عازف القيثارة الذهبية : قرأتها وكنت فى الصف الثانى بالمدرسة الابتدائية وقرأتها من جديد ـ كم من مرة ؟ ـ المرار : لا تذكر بالتأكيد بل كلما وقع الكتيب بين يديك : وما ان ولدت ابنتك حتى اشتريته ووضعته بين كتبك التى لم تقرأها بأجمعها ، وما إن بلغت العامين حتى أخذتها الى سريرك وقرأت على مسامعها المنتبهة قصة عرائس البحر وصاحب القيثارة؟ وبيدها الصغيرة الناعمة تلك اليد التى اسقطت من وجهك نظارتيك مئات المرات ، اقتلعت منك الكتيب وقالت : « خرف من رأسك لا من الكتاب ... » وطيلة سنة كاملة ، بتلك الغرفة الصغيرة المطلية بالطلاء الوردى المعلقة بالطابق الثانى عشر المطلة على نهر السين الملوث بقاذورات المدينة العتيقك والسمك الجيفة والمواد الكيمياوية التى تفرزها شركة رينو لصنع السيارات ، رويت لها الاقاصيص : كنت تعمد الى تطويع بعض الاقاصيص العربية للاطفال فتنام ابنتك قبل ان تنتهى القصة . وكنت تقص عليها قصص

(I) مدينة تقع فى الشمال الشرقى من الاردن .

الكاوبوى « التى خلقتها خلقا » ؛ « الكاوبوى الذى يشق المحيط الاطلسى على ظهر حصانه » ، « الكاوبوى الجائع الذى يتسلق جبال الهيمالايا على ظهر حصانه » ، « الكاوبوى الجائع الذى يفتش عن الذهب فى بحيرات هاجوج وماجوج » ؛ « الكاوبوى الجائع ... الجائع ... » ، وكلما انتهيت من تخريف قصة من أقاصيص الكاوبوى حتى تطالبك بالحاح إما باعادتها أو بتخريف قصة كاوبوى ثانية . وعندما عادت يوما من روضة الاطفال قائلة لك : بابا أنا لست عربية » سألتها عن السبب فأجابت : « لاننى فرنسية » فسألتها : ؟ و « بابا » أجابت : « أنت كذلك فرنسى لانك مثلى تتكلم الفرنسية » و « الكاوبوى كذلك فرنسى » ؛ أدركت يومها وجوب تعريب ابنتك فاخذتها الى بلدك فخاطبوهـا بالفرنسية وعدت وإياها الى فرنسا ... وقصدت سبيلك ...

وبحركة آلية ضغطت على زر الاضاءة الجانبية ... لقد انقطع الكهرباء منذ حين وانقسم أثاث البيت انصافا ، سوى « دشداشتك » البيضاء المستوردة من الصين الديمقراطية ، مثل الاحياء الموتى فى لوحة بيكاسو « جرنيكا » التى انفردت بمكتبك المعلق بالطابق الثانى عشر المطل على نهر السين الملوث والتى كنت تَديم الحملقة فيها لتفهم ـ دون جدوى ـ كيف توصل الرسام الشهير الى بث الاضاءة النصفية على الاحياء الموتى وقد تهشم الفانوس الذى يتوسطها ؟ ولم تفهم ... الى ان أشارت عليك زوجتك بأن الاضاءة تأتى من ثقب متوسط الحجم يتوسط جدار البيت . ويومها تساءلت ان أنت قادر على ادراك النور : بل ادراك مأتاه ..

وتحركت يدك المرتعشة نحو المائدة فتعجبت من شكلها الجديد فى هذه الظلمة ـ هل هى فعلا يدك ؟ ـ فارتمت على علبة السجائر فعلبة الكبريت ، وأشعلت عودا ... واندفع صوت النورى مساوقا دوزنة الربابة المتألمة :

« آخ ... آخ ... يا ريم يا التى بنجد خذنى على حجازك ... » .

عبد الرحمان ايوب

إربد / تونس 1980

لا تحاولي الإنكار !

شعر: محمد جواد الغبّان
(العراق)

نبئيني .. إلى مَ نبقى أسارى　　في قيودٍ بالقلبِ تُضرمُ نارا
أتظنّينَ .. أننا بالتمنّي　　نتخطى بحبنا الأسوارا
لا تظنّي الهوى طريقاً سوياً　　طُرُقُ الحُبّ لم تزلْ أوعارا
لم تذلَّلْ منها الصعابُ .. اذا لمْ　　يخضِ العاشقونَ منها الغمارا
قدَرُ المرءِ ليسَ يُصنعُ عفواً　　إنما نحنُ نصنعُ الأقدارا
يخلقُ المرءُ ما يشاءُ .. متى شاءَ　　... فيجني اللذائذَ الأبكارا
ولياليهِ كيفما شاءَ يحياها ..　　... طوالاً أرادها أم قصارا

* * *

أنا إنْ كانَ قد تفجّرَ بركاني ..　　... فما عدْتُ أملكُ الاختيارا
قد أهاجَ الأعصارُ أعماقَ قلبٍ　　لم يُطقْ أنْ يواجهَ الأعصارا
فتخطيْ معي حواجزَ وهمٍ　　زائفٍ ، قد يُلفّقُ الأعذارا
وتعاليْ نمتّعِ القلبَ بالحُبّ ..　　... ونقضِ (!) من الهوى أوطارا
نطفيء الوجدَ في لظى قبلاتٍ　　لتريْ كيفَ تُطفيء النارُ نارًا
أنتِ مثلي تأجّجتْ فيكِ نارٌ　　في حنايا الفؤادِ تُذكي الأوارا
وبعينيكِ شبّ منها لهيبٌ　　فاضحٌ ... لا تُحاولي الانكارا
كلّما حدّقتْ بوجهكِ عيني　　أبصرتْ فيه للظى آثارا
لو كتمنا سرّ الهوى فضحتهُ　　نظراتٌ لا تكتمُ الأسرارا
شرفُ العشقِ أنْ نحبّ كما شئنا　　... فويلٌ لمنْ يرى الحب عارا !

نظرية علماء اللغة القدامى في مشكلة الدخيل

بقلم : المنصف الزغل

تتعامل اللغات فيما بينها كما يتعامل الاشخاص من ذلك انها تستعير الالفاظ من بعضها وتتأثر تراكيب الواحدة بتراكيب الاخرى ولا يعد ذلك نقصا فى اللغة الآخذة ولا كمالا فى اللغة التى أعطت وانما تلك ظاهرة طبيعية بين اللغات الحية فى العالم .

واللغة العربية مثل سائر اللغات دخلت فيها منذ القديم ألفاظ غير عربية الاصل أطلق عليها علماء اللغة عبارة « الالفاظ الدخيلة » وقد اهتم أيمة اللغة بهذه الظاهرة خاصة فى القرن الثانى للهجرة عندما اعتنى العرب باللغة وضبطها وتحديد الفصيح منها وقد تعرض الايمة فى نطاق دراستهم للقرآن الى كلمات مثل : « زنجبيل » و « سجيل » و « سلسبيل » لم يستطيعوا ارجاعها الى أصلها اللغوى وإيجاد صيغة صرفية لها فاختلفوا فى أمرها فمن قائل : انها أعجمية ومن قائل : بل هى عربية محتجا بقوله تعالى فى القرآن : « إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (1) ومن قائل أخيرا : انها اعجمية الاصل ولكنها اصبحت عربية فصيحة بالاستعمال واندماجها فى اللغة ، وهكذا ظهر عند أيمة اللغة والمفسرين مشكل عرف بمشكل الدخيل ويمكن من خلال أقوال الايمة المختلفة أول الامر ثم المتفقة بعد ذلك فى الامور الجوهرية استخلاص نظريتهم فى مشكل الدخيل وبسطه بايجاز قبل ابداء رأينا فيها .

استقر رأى أيمة اللغة العربية أخيرا على أن الدخيل من الالفاظ الاعجمية موجود فى القرآن وفى كلام العرب عامة ولما كانوا – وهم يجمعون اللغة –

(1) سورة الزخرف ، آية 3 .

ميزوا بين الالفاظ فعدوا البعض منها فصيحا والآخر غير فصيح وأصروا على الاحتفاظ بالفصيح وجمعه على حده فى معاجم خاصة . شعر القوم بحاجة الى معرفة ما دخل اللغة العربية وانتشر فى مؤلفاتها من ألفاظ أجنبية ولهذا كتب الايمة فى المعرب وأفردوا له معاجم خاصة أيضا وكان لا بد من وضع طرق ومقاييس لمعرفة الدخيل والمعرب فكان أن توصلوا الى تلك المقاييس التى أوردها الخفاجي والجوالقى فى مؤلفيهما وهى سبع طرق(1) تتلخص فى طريقتين **أولاهما** : الرواية وهي ان ينقل بعض الثقاة ان كلمة ما اخذت من لغة كذا **وثانيهما** : خروج اللفظ عن الاوزان العربية او استحالة اجتماع بعض الحروف فى اللفظ العربى الفصيح .. ومعيار الفصاحة عندهم هو خلوص اللفظة من تنافر الحروف والغرابة فلا يعسر النطق به .

وقد قسم الايمة الدخيل الى ثلاثة أقسام : قسم أول غيرته العرب وألحقته بأبنية كلامها فاصبح عندهم بمنزلة الفصيح مثل : « ديوان » و « درهم » وقسم ثان غيرته العرب ولم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعامل معاملة الفصيح نحو « آجر » و « سمسار » وقسم ثالث لم يعربه العرب ولم يلحقوه بأبنية كلامهم وأوزانهم فبقى على حاله فلا يعامل معاملة الفصيح ولا يعد معربا بل اتفقوا على تسميته دخيلا نحو : « ابراهيم » .

هذه بايجاز نظرية الايمة في مشكلة الدخيل فما هى قيمة هذه النظرية ؟ وما هو مدى مسايرتها لمعطيات العلم الحديث ؟

لقد تفطن الايمة الى وجود الدخيل فى العربية بل أقروا به ، وما اعتناؤهم به والتصنيف فيه الا اثبات لوجوده واقرار به وهذا شىء محمود فى حد ذاته بالمقارنة بما صدر عن بعضهم فى أول الامر من انكار وجود ألفاظ أصلها اعجمى فى القرآن ... كذلك وضع هؤلاء الايمة مقاييس لمعرفة المعرب خطوة حميدة لدراسة الدخيل ... الا ان نظرتهم الى مشكل الدخيل كانت نظرة ضيقة جدا، فالدخيل فى اللغة كما نعرف اليوم ظاهرة لغوية عامة لا يمكن ان تسلم منها لغة من اللغات الحية ، فكما ان الامم والشعوب تتصل بالشعوب المجاورة لها وتتأثر بها ، كذلك الشأن فى اللغات الحية تتفاعل فيما بينها وتتبادل الالفاظ والتراكيب وربما الصيغ حسب وتيرة تقوى او تضعف باعتبار متانة الصلات

(1) السيوطى : « المزهر » ج1 ، ص 270 .

بين الشعبين صاحبي اللغتين .. وقد غاب عن أيمة اللغة العربية هذا التعامل الطبيعي بين اللغات ثم انهم لم يتعرضوا الى مشكل الدخيل باعتباره حادثا لغويا عاما وانما تعرضوا له من جانب محدود اذ ركزوا اهتمامهم على مسألة ضئيلة تخص لغتهم ألا وهي وجود كلمات بل اسماء غير عربية في لغة الضاد وتعرضوا للقضية عند دراستهم للقرآن واعتنائهم بكتاب دينهم ولذلك لم يفردوا للدخيل بحثا لغويا خاصا كما يفعل اللغويون اليوم وهذا سبب كاف يفسر نظرتهم الضيقة الى المشكل .

ومما يلاحظ أيضا في دراستهم للدخيل عدم شمول عنايتهم بالموضوع اذ لم يعتنوا الا بالاسماء في حين يكون الدخيل في الاسماء وغير الاسماء لكن لعل ما يبرر ذلك هو قلة الدخيل في الافعال نسبيا وربما لم يوجد شيء منه في القرآن .

ثم ان الايمة العرب لم يعتنوا الا بالالفاظ التي شعروا بعجمتها اعتمادا على مقاييسهم بينما توجد بعض الالفاظ لا اثر للعجمة فيها وهي في الحقيقة أعجمية ولكنهم لم يدرسوها وهذا ناتج عن عدم تعمقهم في دراسة المسألة وعن عدم معرفتهم اللغات الاخرى اذ كان الكثير من هؤلاء لا يعرف الا العربية وقليل منهم يعرف الفارسية او اليونانية او السريانية فبقيت دراستهم غير معتمدة على المقارنات ومفتقرة الى التحري العلمي وبقيت في نطاق العربية فقط وهكذا يمكن أن نقرر بأن بحثهم لم يكن بحثا علميا بالمعنى المتعارف عليه اليوم اذ من خصائص العلم الشمول والتعميم في القوانين ... ولكن ليس من الصواب أن نبالغ في نقدهم ولومهم ذلك ان غايتهم الاولى من اعتنائهم بالدخيل هي التمييز بين ما هو فصيح وغير فصيح في اللغة ومنه الدخيل . وقد قال الجواليقي في مقدمة كتابه « المعرب » : « هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الاعجمي ونطق به العرب والقرآن المجيد ... ليعرف الدخيل من الفصيح » .

وان تقسيم اللغة الى فصيح وغير فصيح واعتبار الدخيل من غير الفصيح لينطوي على كثير من التعصب القومي للغة العربية ، تعصب من يعتقد ان لغته أجمل اللغات ، فهذا التعصب من جهة والشعور الديني القوى الذى يغذى هؤلاء الايمة كان من شأنه ان ضيق نطاق اللغة اذ كان الايمة يتحرجون من الدخيل في حين كان يحسن لهم تقبله بصدر رحب بما ان العرب قد نطقت

باللفظ فقد أصبح من لغتها ولا مبرر لعدم اعتبار هذا اللفظ الدخيل على قدم المساواة مع الالفاظ الاخرى .

ولنقل أخيرا كلمة عن المقاييس والطرق التى اعتمدها هؤلاء العلماء القدامى لضبط الدخيل : ان الاعتماد على مقاييس لضبط الاشياء أمر محمود لانه عنوان الالتزام بنظام معين هو أساس البحوث العلمية عادة ولكن لا بد مع ذلك من حسن تطبيق المقاييس للحصول على النتائج السليمة .. ويبدو لى أن علماءنا القدامى فى ميدان اللغة لم يوفقوا أحيانا فى استعمالهم مقاييسهم المذكورة فالمعيار الصرفى مثلا لم يعتمدوا عليه الاعتماد الصحيح بما ان الكلمات قد تغيرت بالتعريب وأخذت شكلا آخر يخالف أصلها عندما دخلت العربية ونطق بها العرب . والمقياس الثانى الذى ينص على استحالة اجتماع بعض الحروف فى كلمة عربية والذى اعتمده اسلافنا يمكن نقده من أساسه اذ الفصاحة قرروها مسبقا ... وقد اهملوا المعيار التاريخى وهو هام جدا ويقتضى معرفة عميقة بالتاريخ والجغرافيا ... وفى بعض الحالات لا يدلنا الا المعيار التاريخى على ان كلمة من الكلمات دخيلة وأما المعيار الصوتى – وان وجدنا له اثرا فانه منعدم فى الغالب لانه يتطلب معرفة دقيقة لعدد كبير من اللغات وأصولها فقد يكون لمجموعة من اللغات أصل واحد لذلك تشترك فى بعض الالفاظ دون ان تكون اخذت الواحدة من الاخرى ودون ان تكون هناك عملية «دخيل» .

وهكذا فان مشكل الدخيل مشكل عويص جدا يقتضى الالمام به تبحرا فى العلوم ولم يكن هذا متوفرا لايمة اللغة العربية فى ذلك العصر ونحن مع اقرارنا بالفوائد الجمة التى نجنيها من بحوثهم نميل الى الاقتناع بأن نظرتهم فى مشكلة الدخيل نظرة ضيقة اقتضتها ظروف تاريخية واجتماعية لا سيما ان المشتغلين بهذه القضية كانوا من قراء القرآن ومفسريه ممن يعتقدون ان العربية أفضل اللغات فى حين يقتضى البحث العلمى التخلص من مثل هذه الاعتبارات العاطفية ..

ان البحوث والدراسات الحديثة فى ميدان الالسنية وعلم الاصوات وما تسلح به علماء اليوم من تقنيات حديثة وآلات وأجهزة مع استغلال التعاون بين الخبراء فى مختلف حقول المعرفة كل ذلك قد أتانا بعلوم ثابتة نطمئن اليها ونباركها وانه من التعسف بمكان ان نطالب أيمة اللغة القدامى بأن يأتونا فى ذلك العصر المبكر بمثل هذه العلوم الصحيحة ...

المنصف الزغل

ينابيع .. وظمأ ..

شعر : يوسف رزوقه

(1) ابن زيدون

جَدْوَلٌ أجّجَ الشّعْرَ فِي غَيْهَبِ الرّوحِ ثُمّ انْطفَأْ
سَلْ مُؤَسّسَةَ الرّيح عَنْ شَجَرٍ أنْكَرَتْهُ الطيُورُ ،
وَخرَبَهُ سَرَطَانِ الظمَأْ ..
هَلْ يَبُوح « ابْنُ زَيْدُون » بالسّرّ ، وَالعَصْرُ : ألْسِنَةٌ وَعُيُونْ ؟
نَضَا الظلّ عَنْ قَلْبِهِ وَارْتَدَى النّارَ مُغْتَبِطا ، والجُنُونْ
مَضَى يَسْألُ المَاءَ : (وَلادَةُ انْفَرَدَتْ بِاليَنَابِيعِ ،
قَعْ فِي لظاهَا إلى الإرْتِوَاءْ ..)
مَضَى يَسْأل النارَ : (ولادَةَ انْفَرَدَتْ بالحَرَائِقِ ..)
يَبْلُغُ مَنْزلَهَا ، زَاخِرًا بِالحَنِين ، ولا يَصِلُ ..
يُهَلِلُ بِالشّفَقِ المُتبَقّي وَيَحْتَفِلُ ..
يُسَابِقُ ظِلهْ ..
وَيَسْرقُ مِنْ فَمِهَا فَرَحَ اللحظةِ المُضْمَحِلهْ ..
تَضِجّ المَدِينَةُ ، وَالعَائِدُونَ مِنَ النبع ، مُنْطفِئِينَ ..
يَدُقّ النّبَاحُ الشّبَابِيكَ ، كلّ الشبابِيكِ ، عِنْدَ الصّبَاحْ
فيَلْتَقِط المَلِكُ السّرّ : مُعْشَوْشِبا وَنَدِيا ..

يَفحَ اللظى : هَلْ يَشِذَّ « ابنُ زَيْدُونَ » عَنْ مَسْلَكِ القَلْبِ ، نحوَ الدَّمَارْ ؟

تَـرُدَّ العَصَافِيرُ : لا ، إنهُ شَاعِرٌ دائِمُ الإخضرَارْ .

(2) الى منــوَّر صمــادح ..

يَتَسَكَعُ في أنهُجٍ لا ضَمِيرَ لهَا
تَتَجَمَّعُ دَاخِلَهُ مُـدُنٌ مُتَشَنِّجَـةٌ وَقِطَطْ ..
أمْسَكَ الكأس مِنْ أوّلِ الليل ، حتى اغْتَبَطْ ..
أرْسَلَ الكلِمَاتِ إلى حائِطٍ حَجَرِي ،
فعَادَتْ إليْهِ مُلَطخَـةً بالضّحِكِ ..
حَدَّثَتْـهُ الدَّوَاخِلُ : أنْتَ المَلَكْ ! ..
فبَكَـى ..
وَارْتَدَى وَجْهَـهُ ضَاحِكا ، وَسَقَطْ ..

(3) أخـــت

تَسْتَرْخِي الوَرْدَةُ في ظل الكاتدرائيّةِ عَارِيَةً ، إلا مِنْ رَائِحَةِ الله
يَتَنَامَى دَاخِلَهَا شَجَرٌ لا شَكلَ لـهُ ،
يَتَجَلى الكوْنُ لهَا : جُثَثًا تَتَفَسَّخُ بالتدْرِيجِ
يُشَجّعُهَا المَنْفَى : إنَّ الدّنْيَا شَوْكٌ وَضَجِيجْ

تَسْتَرْخِي الوَرْدَةَ في ظلِّ الكاتْدرائيّةِ عارِيَةً ، إلا مِنْ رائحةِ الله
اسْتَدْعَى الشّاعِرُ أنْفَ الوَرْدَةِ كي يَتَشَمّمَ أسْئِلةَ الدّنْيا ، فَأَبَى .
(الدّنْيا أوْبِئَةٌ وَأريجٌ .. قالَ الشّاعِرُ :
نَيِّ شَخْصيا ألجُ الدّنْيا ، وَأعِي مَا فَرَحُ اليَنْبُوعِ وَمَا حُزْنُ الصحْرَاء ؟
إتَسْتَرْخِي الوَرْدَةُ في ظِلِّ الكاتِدْرائيّةِ عارِيةً ، إلا مِنْ رائحةِ
اللهِ ، وَتَذْهَبُ في تَفْسِيرِ العَالمِ والشَّيْطانِ ، بِمُفْرَدِهَا .

(4) الديك

فِي الفَجْرِ الأوّلِ ، صَاحَ الدّيكُ :
كـو ، كـو ، كـو ...
أزْعَجَ سُكّانَ القَرْيَةِ ، والحَجَرَ الحَالِمْ ..
فِي الفَجْرِ الألْفِ ، تَفَجّرَتِ الدّنْيا
وَتَلَطّخَتِ الكرةُ الأرْضِيّةُ بِالفرَحِ العَارِمْ ..
بِالدّمِ : يَنْزِفُ مِنْ رَأسِ الدّيكِ ...

يوسف رزوقه

زكي مبارك الأديب الفلاح

بقلم : رشيد الذوادي

ماذا أقول عن زكي مبارك ؟..

أأقول عنه هو ذاك الاديب الذى افتتن بدراسة الشعر والنثر حتى أنه كان يبتاع الكتاب لمجرد كونه يحتوى على بيت شعر أو قطعة نثرية ؟..

أأقول عنه : هو ذاك العاشق الذى تغنى بفتاة من جيرته .. كانت تـداعب قلبه بأحلى الالفاظ كقولها : (أنت يا ولد عيونك خضر زى عيـونى) وظلت تلك الفتاة موئل هواه حتى سطت عليها يد القدر ؟..

أم أقول عنه هو ذاك الوطنى الغيور الذى رفض إغـراء السفارات وجاهـر بحبه لوطنه ، وشارك مشاركة فعالة فى ثورة عام 1919 بقيادة سعـد زغلـول وخاض المعارك الادبية وما خاب فى واحدة منها ؟..

فماذا أقول فى زكي مبارك الذى دافع عن عروبة مصر ، وراسل الصحف بشعره ونثره مهددا الاستعمار ، والذى عاش حيـاة الغبن ، وأحس بالمـرارة والضياع ، وهاله أن يجد نفسه دائما فى المؤخرة ومع ذلك فقد كافح كفاحـا علميا دؤوبا ونال أرفع الشهادات وكتب يقول : « أنا أخـدم وطنى بعقيدة صحيحة ولا أقبل درهما فى خدمة وطنى ؟ » .

فماذا أقول فى زكي مبارك وهو كل هذا وأكثر من هذا كله ؟..

- ملامـح مـن حيـاتـه :

إن زكي مبارك هو صورة أدبية رائعة فى دنيا الفكر والثقافة وهو أنموذج حي فى أدبنا العربى المعاصر..تأنس بصداقته، وتستمتع بأحاديثه وأشعاره ، وتبهرك ثورته .. هو أديب بحق يتميز بقوة الحجة وبالصراحة فى أحكامه ولا يخشى فى الحق لومة لائـم حتى وإن خـرج عن المـألوف فى كتابـاته أو فى مساجـلاته

يستقبل ضيفه بالترحاب والنكتة ، لكنه يعيش للحب ولا يعرف الكراهية ولا الحقد ، فهو صاحب « النثر الفني » ، و « التصوف الاسلامى » و « مدامع العشاق » و « الاخلاق عند الغزالى » و « حب ابن أبى ربيعة » و « الموازنة بين الشعـراء » .

زكي مبارك هو نمط فريد يشدك شدا بشخصيته المحببة وروحه المرحة ، وعلمه الغزير ، ولطائفه الساحرة ، وعنفه فى النقـد ، وأسلـوبه المشـرق الأخـاذ .

كان اذا مر فى الصباح بجماعة يقول لهم ما لا يقوله الآخرون .. تعود غيره أن يقول : (صباح الخير) وتعود هو أن يقول (صباح الهوى) .

وكان اذا مر بقوم فى المساء لا يحيى كما اعتـاد أن يحيي سائـر النـاس بـ « مساء الخير » وإنما يقول بصوت جهورى : « مساء الهوى » .

إن الحسن والعشق والجمال هى مميزات هذا الفنان الموهوب ، والكـاتب الملاكم ، والوطنى الغيور .

* * *

زكي مبارك هو أديب فلاح وكاتب كادح لكن من ميـزاته أنه يمتلك قلبـا يحب ، وقلما لم يؤجر .. شده حب « ليـلى » فسهـر من أجلهـا ، وكتب من أجلها ، وبكى من أجلها ، وشدته قريته « سنتريس » وهى احدى قرى المنوفية الرابضة على شاطىء النيل فى أرض الكنانة فلم يشأ أن يفارقهـا حتى بلـغ الثامنة عشرة من عمره ..

فى هذه السن ترك قريته الحبيبة الى نفسه وقصد (الأزهـر) ليستكمـل ثقافته العالية .

ـ فتـى « سنتـريس » الفـلاح :

هذا هو فتى « سنتريس » وهذا هو (الدكاترة زكي مبارك) كما أمضى مقالاته فيما بعد ... ولد فى « سنتريس » فى صائفة (1) عام 1892 وبها نشأ

(1) يقول زكي مبارك :

وفى آب ميلادى تعالت صبـابة لها آب فى دنيا الصـابة منـزل
ولـدت مع الاعناب والنيل ثائـر يجـور بأرجـاء البـلاد فيعـدل

فلاحا بين الفأس والمحراث وكم كان يفخر بهذه النشأة القروية ؛ اذ كثيرا ما قال لاصحابه : « إن آثار الفأس والمحراث منقوشة على يدي » .

وفى « سنتريس » تعلم الكثير .. تعلم الجد والصبر والفلاحة ، وفى « سنتريس » تخلق بأخلاق سكان الريف ، واكتسب طباعهم .

وأحب الطفل الفقير قريته وأحب أهله فيها ، وعز عليه أن يرى أهله فى « سنتريس » يخرجون فى الاعياد للمقابر ليلة العيد ليسلموا على الاموات بينما سكان القرية يصنعون فى العيد الكعك والحلوى ، وهو نادر أن يجد الكعك فى منزلهم ، بل كان يجد القهوة المرة ؛ وذلك لان أسرته الكبيرة كثيرا ما كانت تصاب بأبنائها فيمر العيد والاسرة حزينة فيتأثر بها الصبي وهذا هو الذى حدا به فيما بعد فحرر فى كل عيد مقالا حزينا باكيا ومن مقالاته « العيد فى سنتريس » وفيه يقول : « وللعيد فى نفس أهل « سنتريس » صورة الفرح والانشراح ، وهم لذلك يحرمونه على أنفسهم فى العيد اذا كان فى البيت حزن ، والاهل والجيران يراعون خواطر من مات لهم ميت ، لم يمض عليه العيد فيمتنعون عن خبيز الكعك » (2) .

وفى « سنتريس » التى تعرض فيها للغرق صبيا بدأ ينظم الشعر فى جارة جميلة له كانت فى مثل سنه .. أحبها زكي مبارك حبا عنيفا وكانت قصائده الاولى الساذجة فيها تعبر عن عشقه لها ، وهيامه بها ، وتدل على أن صاحبها ذو قلب خفاق .

وكما أحب زكي مبارك فى « سنتريس » الشعر ، والفلاحة وطيبة القلب ، وجارته الصغيرة الجميلة ؛ أحب أيضا شهامة أهل الريف وصراحتهم وقوتهم، وأحب منظر الصبايا وهن يملأن جرار الماء من السوانى فكان يرنو اليهن بعينيه ويهفو اليهن بقلبه ، وأحب فى « سنتريس » تقى الاهالى ؛ فكان يذهب مع أبيه كل صباح الى المسجد ثم يباشر أعماله الفلاحية .

وكم كان والد زكي مبارك يفخر بابنه حينما يشاهده يسحب الجاموسة الى المراعى أو خارجا من مسجد القرية . اذ ما كان يدرى كما يذكر ذلك زكي

---

(2) زكي مبارك بين رياض الادب والفن : فاضل خلف ، ص 7 .

مبارك نفسه : « ما كان يعلم ـ طيب الله ثراه ـ أني لا أبكر الا لأشهد السرب الاول من أسراب الملاح » (3) .

و « سنتريس » قرية الشاعر ومسقط رأسه ظل يحبها الى آخر حياته فكم تحدث عنها فى أدبه وفى خواطره : « .. حيث يحلو السمر فى ليـالي القمر وعلى شاطىء النيل هناك حيث النجم والشجر والماء والزهر ، فى تلك البقعة المشتبكة الجداول ، حيث السواقى الشاديات ، والطيور الصادحات ، وتحت تلك الشجرة المعطفة الغصون ، المهدلة الشعور ؟.. هنـاك حيث أستظـرف الجلوس مع أولئك الامجاد شجعان البلاد ؛ أولئك الذين لم تخـالط نفـوسهم أوضار الحضارة ، ولا سموم المدينة ، فتبدو لنا « سنتريس » وكأنها بسمة فى فم الكون » (4) .

تلك هى « سنتريس » قرية زكي مبارك الاديب الفلاح التى افتتن بها ؛ إذ فيها نشأته ، وفيها الاهل ، والاحبة ، والصبايا الجميلات ، وذكريـات الحـب الاول ، والمسجد الذى تلقى فيه الدروس الدينية عن الشيـخ « محمد غريب » فى عصريات رمضان .

ولشدة حبه لـ « سنتريس » لقب نفسه بشاعر « سنتريس » وكان يعتـز بهذا اللقب كثيرا .

ـ فـى الأزهــر :

وحياة زكي مبارك .. وإن كانت مليئة بالمصاعب ؛ فهى أيضا ثرية وخصبة؛ ذلك انه فى الثامنة عشرة من عمره ترك قريته الحبيبة وقصد الأزهر لاستكمال ثقافته لكن هل وجد زكي مبارك الجو الذى كان يأمله فى الأزهر ؟ كـلا .. إن هذا الفتى القروى ما كاد يحل فى البيئة الأزهرية المحافظة حتى وجد نفسه مقيدا ، ولكنه ما صبر على قيده وهو الشاب المتحرر ؛ لذلك رأيناه يرفض ما كان سائدا فى الوسط المتزمت وبادر بنظم الشعر فى الغزل والتشبيب ، ولم يكتف بهذا فحسب بل حمل لواء الثورة على نظام التعليم بالازهر وأخذ يحبر

---

(3) نفس المصدر ، ص 8 .
(4) نفس المصدر ، ص 9 .

المقالات النارية داعيا الى اصلاح التعليم فى هذه الجامعة العريقة،ومقالاته فى هذا الشأن تعبر عن أطواقه وتطلعاته وتؤكد على صدقه مثل قوله :

« نريد أن يتغير التعليم في الأزهر والمعاهد الدينية ، نريد أن نكون أعزة وقد صيرتنا هذه التعاليم أذلة ، نريد أن نرسم خطة لنضهة الممالك الاسلامية حتى يغلب الجاحدون على أمرهم فيدخلوا فى دين الله أفواجا من حيث لا يشعرون ، نريد أن نمحو الوساوس التى دخلت فى العلوم العربية وأصول الفقه وعلم التوحيد ، ولا يضيرنا أن يخمل ـ بذهاب هذه الوساوس ـ مئات المتصيدين فى العلم والدين » (5) .

وعاش زكي مبارك فى الأزهر عيشة بسيطة وتابع دراسته هناك بنباهة وذكاء قبل أن ينتقل فى عام 1913 الى الجامعة المصرية بعد أن حذق اللغة الفرنسية فى ثلاث سنوات .

وفى كلية الآداب بالجامعة وجد ضالته المنشودة ، وجد من يحدب عليه من أساتذته أمثال الشيخ محمد المهدى .

واعجاب زكي مبارك بهذا الاستاذ كان دائما كبيرا أفليس هو القائل يوم تكريمه فى الحفل الذى أقامه الطلبة له ؟ ..

وما كانت الآداب إلا طرائقا — من الشعر أو ما يستجاد من النثر
فأبرزها المهدى عذراء غضة — تأود تحت الحلى فى الحلل الخضر
مباحث لو غذى (زهير) بروحها — لأضحت قوافيه أرق من السحر
ولو فقه النيل المبارك كنهها — لحول ذياك المزيج الى خمر

ـ فى أيام ثورة 1919 :

وفى أيام الثورة الوطنية ثورة 1919 كان زكي مبارك فى مقدمة الشبان الثائرين على الاستعمار البريطانى وساهم هذا الشاب الثائر بشعره ونثره وخطبه فى هذه الثورة المجيدة وانتهت به الثورة الى الصورة التى انتهت به.. انتهت به الى الاعتقال والسجن .. وعن هذا كتب يقول :

(5) زكي مبارك فى العراق : عبد الرزاق الهلالى ، ط 1 ، بيروت 1969 ، ص 20 .

« لقد تمردت على الظلم كما تمرد أجدادى فكنت من خطباء الثورة المصرية سنة 1919 ، فاعتقلنى الانكليز وصيرونى أسير حرب .. إن أيـام الاعتقـال أورثتنى أحزانا كثيرة وهى أحزان ما زالت تفطر قلبى ، ولكنى أفدت من أيام الاعتقال ، فقد عرفت معنى الاغتراب فى الحياة وهو معنى جميل !! » (6) .

ـ فـى الجـامـعـة :

وما أن طلق سراحه حتى التحق بالجامعة من جديد ونال شهادة الليصانس عام 1921 وفى 15 مارس 1924 فاز بـ : الدكتوراه الاولى بتقديـر جيـد عن رسالته : « الاخلاق عند الغزالى » .

وأمام تفوق زكي مبارك فى دراسته الجامعية عين مدرسا فى الجـامعة (7) وعهد اليه شرح كتاب (مغني اللبيب) لطلبة كلية الحقوق بطلب من الدكتور طه حسين .

ولم يقتنع هذا المفكر بما هو فيه من مركز أدبي بل تطلـع صـوب جـامعة (السوربون) فى فرنسا ، وعـانى فى بـاريس من شظـف العيش الشيء الكثير ، وأمكن له ـ وبعد مرور خمس سنوات من هذا العيش المكدود ـ أن يحرز على الدكتـوراه الثـانية برسـالته القيمـة (النثـر الفنـي فى القـرن الـرابع) (8) .

وإثر عودة زكي مبارك من باريس عين استاذا بالجامعة المصرية وهنا ثارت ثائرة طه حسين الذى استغرب تعيين زكي مبارك فى هـذا المنصب لمـا كان بينهما من خصومات أدبية قديمة .

وبالرغم من تقدير الادباء لزكي مبارك ومؤازرتهم له ؛ فان الصراع بدأ من جديد بينه وبين الدكتور طه حسين خصوصا حينما عاد طه حسين الى الجامعة من جديـد .

---

(6) نفس المصدر ، ص 21 .

(7) أواخر عام 1925 .

(8) هذه الرسالة قدمت باللغة الفرنسية ونوقشت يوم 1931/4/25 .

ولم يمض وقت طويل حتى أبعد زكي مبارك عن رحاب التدريس فى الجامعة : ذلك أن طه حسين رفض فى عام 1934 تجديد عقد زكي مبارك فى الجامعة وقال :

« أنا لم أستشر فى تعيينه فلا أستشار فى تجديد عقده !.. » .

وكانت مأساة محزنة .. أبعد زكي مبارك عن منصبه ووراءه مسؤوليات ووراءه أيضا خمسة أبناء .. ولم يهمل زكي مبارك هذه الفرصة دون أن يكتب فيها ..

كتب زكي مبارك مقاله الشهير فى « البلاغ » (9) :

« طه حسين بين البغي والعقوق » والذى قال فيه :

« لو جاع أولادى لشويت طه حسين وأطعمتهم لحمه » .

واهتز لهذه الحادثة كبار الادباء فى مصر من ذلك أن ابراهيم عبد القادر المازنى كتب يقول : « إن الدكتور طه حسين أصبح ممن يملكون أشباع البطون واجاعتها وأنه صار يضرب اللقمة التى ترتفع بها اليد الى الفم ويطيرها فتسقط على الارض فتفوز بها الكلاب ويحرمها الانسان » (10) .

أما زكي مبارك فقد تصرف تصرف الرشداء ولم يأبه بصنيع طه حسين وقال قولته المشهورة : « والذين يحاربوننى لم يطمعوا فى محاربتى الا لظنهم أننى رجل أعزل لا انحاز الى حزب من الاحزاب وليس لى فى الحكومة عم أو خال ... » .

ومضى صاحب « النشر الفني » يشق طريقه بعزيمة صلبه ، فاشتغل بالصحافة والادب .. كان يكتب فى كل خميس مقالا بعنوان : « الحديث ذو شجون » فى « البلاغ » بينما كانت مقالاته الادبية تملأ صفحات مجلة « الرابطة العربية » وكان يخصص جزءا من وقته لاعداد رسالته عن (التصوف الاسلامى) لنيل الدكتوراه من الجامعة المصرية الجديدة .

---

(9) البلاغ : 23 نوفمبر 1934 .

(10) صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك : محمد محمود رضوان (سلسلة كتاب الهلال) أكتوبر 1974 ، ص 49 ، و (زكي مبارك فى العراق) ، ص 27 .

وفى ماى 1937 عين مفتشا للمدارس الاجنبية بعد حصوله على الدكتوراه الثالثة فى أفريل من تلك السنة ، وفى هذه الاثناء أطلق زكـي مبـارك على نفسه : (الدكاترة زكي مبارك !..) ثم سافر الى بغداد للتدريس بدار المعلمين العليا لمدة عام واحد فحسب .

ومتنت رحلته الى العراق ايمانه القوي بالعروبة والقومية العربية .

ومكنته اقامته بالعراق من أن ينجز عدة كتب منها : (عبقرية الشريف الـرضي) ، و (ليـلى المريضة فى العـراق) و (ملامح المجتمع العراقى) ، ويصور زكي مبارك تأثير العراق فيه فيقول : « كوتنى بغداد ثم شغفتنى .. كوتنى لأنى عشت فيها محبوسا لا أدرى أين أذهـب .. وشغفتنى بغـداد لأنى أنست بسواد الليل حين فاتنى الانس بسواد العيون » .

ـ فـي القـاهـرة مـن جـديـد :

ورجع الدكتور زكي مبارك الى وطنه فخورا بما أدى فى العراق وبما أضافه الى الادب والفكر هناك ولكنه لم يجد ما يرضيه فقبل عن مضض خطة التفتيش من جديد الى أن أعفي منها ونقل الى (دار الكتب) بأمر من النقراشى باشا رئيس وزراء مصر وقتئذ .

وإزاء هذا الوضع الجديد تردى حال الاديب الفلاح زكي مبارك وأيقـن أن المتاعب ما زالت تلاحقه بسبب صراحته وثورته على الاوضاع .

وفى شدة أيام ضيقه هذه ينشر قصيده المعروف « الناس والزمان » ، وفيه يصف حاله وقسوة الناس عليه ومما جاء فى هذا القصيد :

خطـوب الدهر لم تخفض جناحـا   بعـزمتـه القـويـة قـد سمـوت
قضيـت العمـر مـا أحـد رآنـي   عـلى بـاب لمـخلـوق وقفت
ولا علمـي أهنـت ولا بيـانـي   ولا بمـدارج الاطـمـاع سـرت
ستمضـي محنـة وتجـيء أخرى   وليـس لمحنـة الاحـرار وقـت
ويبقـى خـاطرى شهمـا شجاعـا   أصـول بـه وأفتـك مـا أردت

بهذا العقوق قوبل الرجل ، لكن هل سكت زكي مبارك ؟.. وهل أوقـف معاركه الادبية ؟.. أبدا ..

إن زكي مبارك بقى حاملا قلمه وظل شاهر السلاح فى وجوه الذين حاربوه فى رزقه بدل أن يناقشوه بالحجة ، فصراحة هذا الاديب الفلاح كانت من النوع الشاذ من ذلك أنه نشر فى احدى افتتاحيات (الرسالة) نقدا لخطاب العرش فثارت ثائرة علي ماهر رئيس الوزراء وقرر قطع اشتراكات الحكومة فى (الرسالة) وحاول (الزيات) تسوية الموقف لكن رئيس الوزراء ظل غاضبا على زكي مبارك ، وطلب منه أن يعتذر فى (الرسالة) والا يفسخ العقد الذى بينه وبين وزارة المعارف فما كان من زكي مبارك الا أن أبى ولم يعتذر وقال : « إنى لا أعتذر عن مقال كتبته وأنا أعتقد أنه حق ، وللوزير أن يفسخ العقد ، فمن ألفضيحة (لوزارة المعارف) أن يكون أحد كبار المفتشين بها موظفا بعقد ... » .

وأمام هذا التحدى والاصرار ظل هذا الاديب ضحية الملاحقة والحرمان وتالم من هذا الغبن كثيرا .. يقول والالم يعتصر قلبه : « إن بني آدم خائنون .. تؤلف خمسة وأربعين كتابا منها اثنان بالفرنسية وتنشر ألف مقالة فى البلاغ وتصير دكاترة ومع هذا تبقى مفتشا بوزارة المعارف !! » .

بمثل هذه المشاعر كان هذا الاديب يعبر عن مأساته .. مأساة الفنان المطوق بأغلال الزعانف وأشباه الرجال .

إن غيره كان يتمتع بخيرات مصر ومناصبها العالية ، أما هو فلا يدرى ماذا يفعل مع هذا الحظ المنكود !

وشاء القدر أن ينهى آخر فصل من فصول حياة هذا الاديب الكبير الذى انتابته أزمة حادة فراح يبحث عما يبعده عن مآسى الحياة المكدودة ووجدها فى النهاية .. وجدها فى الخمرة .. إن الخمرة هى الدواء الشافى لهمومه .

وكان ما كتب له فقد سقط زكي مبارك فى شارع عماد الدين بالقاهرة ونتيجة للسقطة على الارض كانت وفاته يوم 1952/11/23 وعمره ستون عاما.

تلك هى خاتمة مطاف زكي مبارك الذى كان يخوض الملاحم الفكرية بشجاعة نادرة وعنف شديد طيلة الثلاثينات والاربعينات . كان يريد أن يكون الاديب الصادق فى أدبنا الحديث وفى مجتمعه وفى هذا كانت مأساته ومتاعبه .

هو فنان حالم .. حلم بالحب .. وبالمرأة التى صورها فى أدبه تصويرا مثاليا .. وبالمجتمع الفاضل .. وبالحياة المثلى .. لكنه وجد الحياة شيئا آخر فافتقد الواقع وعاش طيلة حياته ثائرا وحائرا .

هذا هو الاديب الفلاح الذى زوج فى سن مبكرة وهو طالب بالازهر بفلاحة طيبة بسيطة من (سنتريس) .. إن زوجته الفلاحة ، هى وإن حفظت عرضه لكن لم تعوضه (الحب الكبير) الذى كان لا بد منه بالنسبة اليه .. ووجد ملهمته فى « ز » أو (ليلى المريضة فى الزمالك) لكنها فرت منه يوم أن تعرض للاضطهاد فى عمله فأسف وحزن .

تلك هى شخصية زكي مبارك الاديب الفلاح الذى مات فقيرا لانه أنفق عمره فى خدمة الادب ولم يكن له سناد من الاسندة التى رفعت الكثير من الادباء .. عاش مأساة جيله ولم يتقيد بغير الكلمة الحرة الصادقة لكن كان لصدقه أثر سيء عليه فعاش برما بعد أن حاربه ذوو السلطة حتى فى رزقه وفى خبز عياله .

إن ظروف حياته كانت قاسية جدا وهى نفس ظروف أجواء الظلم عامة لقي فيها هذا الاديب الحساس من صنوف الهجر والغدر والمعاناة ما يعجز القلم عن تبيانه .. وفى خضم هذه الظروف بدأ انطفاء تلك الشخصية الفكرية المعتدة بنفسها بعد أن قدمت صورة عن الاديب المتعب المكدود الذى فر من الواقع المقهور ، ولجأ الى الشراب والعزلة ، بعد ما أبدع على السطح ، وقدم الباقات من أغاريد الشكوى والحنين والحب .

رشيد الذوادي

ننشر فى العدد القادم

الجزء الثانى من دراسة : **محمد أنور بوسنينه**

فى الدفاع عن اللغة العربية ـ 2 ـ

اعترافات في زمن الحب

شعر: محمد المهدي بن نصيب

أعترفُ أمام شُروخ مرايا الأيامْ ،
أعترف أمام سني الأحلامْ ..
ودقائق تعقيم الموتْ .
أعترف أمام قصور الحزنِ ..
وغصن الصمتِ ...
بحبكِ يا أيقونةَ عشق في بهو معابد أشعاري
يا امرأة تتشكل فوق هضاب الشوق دوائرَ ضوءْ
يا ارهاصا نورانيا يغسلُ حقلا داعبه النّوْءْ ...
معترفٌ أني الراسف في قيد العشقِ ..
الغارقُ في مائه حتى العنْقِ
يا لوحة حسن خطّطها فلاح في الضيعة يكدحْ ،
يا أسلاك ضياء لفتْهُ كفوفٌ مشقوقهْ ..
نَاجَتْ أجساداً مَعروقَهْ .
يا تمثال جمال يرسمهُ بخيوط الضوء هسيس الحلمِ
على صفحة منديل الغيمِ
أعترفُ بحبك يا امرأتي
إن أخفيتُ فلنْ أفلحْ !!

النحلة والزجاج

قصة : عبد المجيد النفزي

ـ 2 ـ (*)

ـ أرجوك يا أبي ... لا تحرمنا الليلة من مشاهدة المسلسل .. إنه « أفواه وارانب » .. إني أعتقد أن ذلك الرجل الفني صاحب المزرعة أصبح يحب الفتاة نعمت ...

ـ أخرسي أنت يا وقحة ! حتى أنت ؟! مات الحياء وانتهت الدنيا .

ـ اتركيها يا منانة ... الحب أصبح شغل الناس جميعا ... ولكنهم ، رغم حديثهم عنه فانهم يتصارعون كالاكباش .

ـ التلفزة علمتهم الرقاعة ... التلفزة أحدثت ثورة في رؤوس الاطفال إنهم يطالبون بملابس ولعب مثل التي يرون في هذا الصندوق العجيب ، التلفزة أحدثت في بيتنا شرا كثيرا .

ـ وماذا قلت من قبل ؟ ضل من سار في الحياة بهدى النساء ... ألم تلحي علي طيلة شهور .. حتى اشتريت لهم هذا الصندوق العجيب كما تقولون وها أنت اليوم تتندمين .

ـ ألا تذكر أنك كنت تقف على حافة البئر كالهدهد وتلغط لغطتك تلك ، فيطفرون من هذا البيت وذاك ... حيث يذهبون لمشاهدة التلفاز ، وأحيانا ينهرهم بعض اللئام .

(*) انظر الفكر العدد 1 : السنة 29 ـ أكتوبر 1983 .

ـ وأنت ؟ ألم تكونى تقفين أمام البـاب « فتقـاقين » كدجـاجة فقـدت صيصانها حتى يتجمعوا حولك .. فتضربينهم ؟ وهذا ما جعلنى أستجيب لك وأشترى التلفاز .

ـ فلماذا تقول : ضل من سار بهدى النساء ؟ ولكنى أفهمك يـا رجـل ، لعله قد ساءك أن أشبهك بالهدهد .. فشبهتنى بدجاجة فقدت فراخهـا ؟... ولكنى أعتقد أنه لولا التلفزة ما حدث ما حدث .

ـ لا تقولى هذا يا امرأة .. أمر قدره الله .. ولا مفر من وقوعه .

ـ ذلك دأبها يا أبى ، أنت ترحل ، وهى لا تنى تذكرنى المصيبة وتضـع تبعاتها علي .. حتى أضحت حياتى جحيما لا يطاق ... أحيانا أتمنى أنها لم تلدنى ... أو أنها كانت ولدتنى ذكرا ... لأنتقم من الاعداء ... وأعمل صباح مساء لأرفع هذه المهانة .

ـ لا تيأسى يا بنيتى ... ثقتى بالله قوية ، وإن بعد العسر يسرا ، سوف تنفرج الحال .

وتعلقت لطيفة بعنقى :

ـ قل بالله يا أبى : هل تسمح لنا بمشاهدة « أفـواه وأرانـب » ، لماذا تطفىء التلفاز مباشرة بعد شريط الانباء ؟ وماذا يهمنا مما تقول المذيعة ... هذه الاخبار لا تهمنا .. نحن نريد مشاهدة المسلسل « أفـواه وأرانـب » لماذا تغلق التلفاز وتغلق دونه الباب !؟ لا خـوف من استهلاك الكهرباء فأخي ... سوف يعود من الساحل بخير كثير وسيدفع ثمن الاستهلاك بدون عناء فـلا تحرمنا الليلة برحمة جدى ...

* * *

ـ انظرى تسريحة شعرها ... كم تروقنى !

ـ وماذا أعجبك منها ؟ ألا ترين رأسها مكورا كبطيخة ؟

ـ أحاول أن أتذكر : لمن تشبه تلك ؟

ـ وجدتها .. هى شبيهة « راقيـة » ابنة المحامى .. طالبة بالجامعة وتسوق سيارة صغيرة زرقاء كعينيها .. ذهبت يوما الى مكتبة فوجدتهـا هنـاك ... تدخن سجارة .

ـ فى مكتب أبيها ؟

ـ نعم ... وليس ذلك عيبا .. لقد أشعل لها السجارة بنفسه .

ـ وماذا تفعل مكتب أبيها ؟ هل قدمت هى أيضا قضية فى الطلاق .. ووكلت أباها للدفاع عنها ؟

ـ تطلق ؟ كيف ؟

ـ وتدخل « بشار » بعنف :

ـ ومن تطلق يا حمارة ؟! هل تتصورين أنها تتزوج عاطلا أو عامل حضائر أو ماسح أحذية ؟ والآن كفى ضجيجا وتابعوا المسلل .

يريد « بشار » أن يتابع الشريط ويتمثل أحداثه ويفهم خوافيه حتى يتنبأ بالحلول قبل النهاية ... يفترض حلولا ويقول انها لا تكون الا كذلك نظرا للروابط القائمة بين الاشخاص والتناقضات والتعاون والصراع ... « محمود » يتزوج « نعمت » وتجبره أخته على الطلاق ، فبين الزوج والزوجة عداوة عرقية قائمة على امتداد التاريخ ...

ونهرته أمه وقالت له احدى أخواته: إنه يحبها فكيف يكون بينهما عداء..!؟ وانبرى يشرح لها أفكارا كثيرة غمضت علي : انتماءات طبقية وصراع طبقات واحتواء واستغلال ثورة ونسف ... أشياء كثيرة ومهاترات لا تحصى ... أذكرها ولا أفقه معناها ...

* * *

قالت زوجتي :

ـ إني أرقبك منذ حين فلم أرك تنظر الى التلفاز .. بل تقلب بصرك في وفى الاطفال ... أم لعلك تتابع المسلسل فى وجوهنا ؟

وغضت سعاد بصرها فترة ولم تتكلم ... شيء ما يقول لى انها عقل كبير وقلب كبير ... انها تحادث نفسها أكثر مما تحادث من حولها وتغرق أحيانا فى فترات تأمل طويلة ...

ندمت ندامة لا مزيد عليها لانى منعتها من الدراسة ... وكم يؤلمنى أن أراها تتناول الكتاب فتقرأ منه الصفحة والصفحتين بعد الجهد

والتعب ثم تلقيه ساخطة حانقة ..!! كان لها أن تتخرج معلمة أو ممرضة أو راقنة ... لو تركتها بالمدرسة ... هل تفوقها « راقية » ابنة المحامي جمالا وذكا ؟ لماذا تسوق تلك سيارة وتخاف سعاد ركوب الدراجة ؟ لماذا تفني ابنتي عينيها في التطريز ومعالجة الابر والخيوط ، وتهتم زوجة المقاول بالتجوال وانتقاء الفساتين والرياضة واللهو ؟.. لماذا تنفطر أصابع زوجتي وتتخشب يداها .. وتسيل يدا زوجة المقاول رقة ولطفا ؟ لماذا تنجب هذه أحد عشر طفلا ، ولا تنجب تلك سوى طفلين ينعمان بثروة أبيهما ؟ أستغفر الله من كل ذنب ، فبيده الامر ، وهو على كل شيء قدير ، وهو يفضل بعض عباده على بعض درجات ... ولكن نظرة ابنتي وانكسارها قد حرفت في أعماقي ... كم وقفت سعاد أمام زجاج النافذة ونظرت الى الافق الممتد أمامها .. وسرحت خواطرها بين هذه الدور الجميلة المصطفة على جانبي الطريق ، المتلفعة برداء أخضر من أشجار البرتقال وأزهار النسرين ... كم انتظرت بزوغ الشمس من وراء جبل « ميانة » وترقبت الشمس تصعد الجبل ..!! وتشتد حدقتها فتجلس سعاد على كرسيها الصغير وتتناول إبرتها وتعالج خيوطها في خيبة ومرارة وكان الشمس لم تأتها بجديد تنتظره كل يوم حتى قالت يوما لأخيها « بشار » :

ـ اني مللت رؤية الشمس ، تبزغ من ذلك المكان كل يوم وهي لا تتغير ولا تأتي بجديد ... فلو دعونا الله أن يحجبها عنا بهامة الجبل .. أو أن يغير مكان بزوغها ؟!

فماذا يدور بخلدها يا ترى .. وهل تحلم سعاد بشيء بعيد ؟ لو كنت قادرا على تدريسها بنفسي لفعلت .. ولكن علومي ضحلة ، لا تتجاوز بعض الاحزاب من القرآن..صحيح أني أكتب أحيانا رسالة الى قريب بعيد أو أطالع مجلة كلما عثرت منها على عدد قديم ... تشغلني قراءته مدة أسبوع وأحيانا أقتصد قراءته حتى يتاح لي عدد آخر قديم .. ولكن ذلك لا يكفي فعلومهم اليوم تغيرت .. حتى الكتابة اتخذت شكلا جديدا ، وكم ضحك ابنائي حين رأوني أنقط الفاء من أسفل ، وأضع على رأس القاف نقطة واحدة .. وألوي جناح الكاف وأعقصها على رأسه كالعمامة ! أما « بشار » فلم يستقر ولم يقبل على الدراسة .. ولو فعل لأصبح اليوم سائق حافلة أو شاحنة أو رئيس حضيرة ... كان كثير الخصام مع أساتذته ويشتمهم أحيانا ... ويراسلني مدير المعهد في شأنه فأمضي الالتزام بارجاعه الى جادة السبيل ، وأعود عليه لوما وتقريعا وضربا ... فيعتذر بأن ذلك الاستاذ برجوازي متكبر وذاك

إقطاعى متسلط ، والآخر يدرسنا ما لا صلة له بحياتنا ... وحدث بالمعهد اضطراب وتعاون أشقياء التلاميذ على تحطيم زجاج المعهد فقبض عليه وسجن أياما ثم فصل عن الدراسة .. وهو الى اليوم عاطل ، ينام نهارا ويستيقظ ليلا ، يخالط بعض زملائه المفصولين العاطلين وسفلة القوم ... فاذا طلبت منه أن يخالط من هم أرفع منه منزلة ؟ فقد يناله من خيرهم أو يتوسط له أحدهم فى شغل .. قال : إن بينه وبينهم عداء عرقيا حتى ظننت أنه صنع من طينة غريبة ، منبوذة فى أطراف الدنيا ، وانكب على كتب الافرنج ، يقرأ ويعيد ويسطر ويحفظ ويستوعب ويفهم وينسخ ويرفض أن يشتغل ... فى ذهنه أشياء غريبة حقا ، أحيانا أحب أن اسمع هذره فأضحك حين يسألنى عن الشغل وعلاقة العمال بالمقاول ، وعن الساعات الاضافية ... وهو يؤمن إيمانا راسخا بوجوب اتحاد العمال لافتكاك المصنع وحضيرة البناء ومقطع الحجارة وحافلات النقل وحقول القمح وسكة الحديد ... أحب أن أرى عينيه تلمعان حماسا وأحب سماع هذه الافكار لأعيد حديثها على رفقاء العمل للتفكه... ولكنى أشفق عليه من الجرى وراء أحلام لا صلة لها بواقع ولا أساس لها من منطق ولا مبرر لها من قانون .

* * *

وشد التلفاز وجوه العائلة فى مواقف حرجة ، وقطع « بشار » حبل الصمت :

ــ انى أتعجب من نفسى : كيف لم أكسر وجوه هؤلاء الذين أتوا لمصادرة أدباشنا.. ولكن ليعدوا الكرة ، وسوف يعلمون اى منقلب ينقلبون.

ولم يأبه أحد فى الظاهر .

وهمست سعاد : أرأيت تلك المقاعد الوثيرة يا أمى ؟ إنك تجنسين فى أحدها فيغوص بك فى موجة قطن أو رغوة صابون ... تتلمسه أصابعك فتجدينه لينا كجلد أرنب .

ــ وهل حصل لك شرف الجلوس على مثله ؟

ــ نعم فى مكتب المحامى .. إنه يستقبل الزبائن فى مكتب أنيق ... مقاعد وثيرة وصور كبيرة ملونة وصندوق مثبت بالجدار ، يكيف الفصول ، فاذا اشتاق الى الربيع ونوره واذا حن الى الصيف وحره أو الى الشتاء وقره ، ضغط باصبعه على الزر فاستجابت له الفصول ...

ـ كفى .. كفى كذبا واختلاقا .!

ـ والارض مفروشة بالزرابى ...

ـ والناس ينزعون أحذيتهم خارج المكتب ؟

ـ يدوسونها .. وتتبعهم الخادمة بآلة ذات خرطوم وذيل .. تلحس الغبار .

وقالت ليلى : لو كان أبى وأمى وصالح وبشار وأنا كلنا نشتغل لاقتنينا كراسى كالتى نشاهد فى التلفاز وتتحدث عنها سعاد ... إنى أتخيل نفسى أدوسها بحذائى .

ـ كراسى كتلك ؟ فى بيتنا هذا الردىء المتداعى ؟ يجب أن نبنى منزلا أكثر أناقة .

ـ ولكن لماذا نشتغل كلنا بهذا الشكل المريع ، يشتغل « بشار » شغلا مريحا .

ـ محاميا مثلا .

ـ أو عدلا منفذا أو طبيبا ..

أنا لا أحب هذا ... أنا اشتغل عاملا بمنجم أو بمقطع حجارة ، فأحارب الاستغلال والرشوة وسرقة عرق الكادحين .

ـ لقد عرضت عليك أن تشتغل معى ، لدى المقاول فرفضت .

ـ صبرا جميلا يا أبى ، لدى كتب كثيرة يجب أن أقرأها أولا .

ـ ستتخرج بعد قراءتها مهندسا معماريا .

ـ لا ، ولكن عاملا واعيا ... يوعى الآخرين .

وثارت ثائرة الزوجة وصاحت باحدى بناتها :

ـ قومى فأطفئى التلفاز .. الكهرباء تضيع هباء .. ونحن لا نسمع الا مهاترات وضجيجا .

* * *

غادرت « نعمت » دار زوجها الغنى الى دار أختها الفقيرة « جمالات » وسر « بشار » : ألم أقل لكم ! الهدنة مستحيلة واجتماعهما على مائدة الطعام اكثر استحالة ... سوف تموت « نعمت » جوعا .

ــ أتتصور « محمودا » يفتك منها الخبز ؟

ــ هذا اذا سقطت فى يدها منه قطعة .

ــ بالله اسكت ... أنت لا تقول الا لغوا وضجيجا .. كيف يفتك منها الخبز ؟

ــ أرأيت « محمودا » قد تحمل جهل زوجته قواعد الرقص بضجر كبير ؟

وردت سعاد بعنف .. اسكت أنت ! كفى تخريفا ! إنه يحبها ، ولولا ابنة الحرام أخته لكانا أسعد زوجين ..

ــ يا طفلة .. يا جاهلة ! كيف نجمع بين القط والفأر ونجبرهما على التعايش السلمى ؟ سوف ترين نهاية المسلسل ، لن تكون الا كما خمنت أنا واذا كان العكس ، فذلك من خيال الكاتب ... وهو بعيد عن الحقيقة ، وزواجك انت من «فريد» غلطة لم يسمح بها التاريخ ، ألم تنفصل عنه ؟ لقد كنت أتوقع ذلك منذ أمد بعيد .

ــ ولماذا بخلت بارشادنا أيها النبىء ؟

ــ محادثة ذوى العقول المتحجرة مضيعة للوقت .. انتبهى للمسلسل فذلك خير .

وسرحت سعاد بخيالها وشردت بعيدا ، لم تثنه للشريط ولم تتابع أحداثه .. لعلها تحلم بزوج عطوف . يوفر لها مقعدا تجلس فيه فتغوص فى موجة قطن أو رغوة صابون .. ورأيتها تنتقل بعنيها فى أجزاء الغرفة وتعاين الاثاث قطعة قطعة .. لعلها الآن تتصور زوجها يصل عائلتها ببعض النقود.. وسمعتها تهمس : « مستحيل » وسألتها :

وما هو ذا المستحيل ؟

ــ أبدا يا أبى .. هى خواطر جالت ببالى ...

* * *

جاء عون وسلمنى دعوة الى مركز الشرطة دون أن يوضح فحواها ، سلمها وعرك قرن دراجته النارية فانطلقت به ، تحلقت الجارات عند مرآه أمام الباب مستفسرات وذهبت لهن « منانة » موضحة مطمئنة أو على الاصح مفتعلة الاطمئنان ، فهى لا تعلم ما يخبىء الغيب وابنها غائب وابنتها تخوض خصاما غير مأمون النتائج ... وهى تخشى ألسنتهن ، وتخشى خصوصا أن يتقولن على ابنتها بعض الاقاويل ... فقالت لهن : إنه فى شأن سعاد .. اعلمنا أن الجلسة تأجلت من جديد ، أما فى البيت فقد خيم الوجوم والصمت وتفاقم الشعور بالذنب على المسكينة سعاد ، فانكبت على تطريزها لا ترفع عنه عينيها، ولا تنبس بكلمة .

انفجرت فى وجه العون مقهقها ، فاستغرب أولا ثم نهرنى وأمرنى بالخروج لما رأى أن الضحك الشديد لا يتركنى ، واجتزت عتبة الباب ورميت سترة العمل الزرقاء ، واستلقيت على الاسمنت محدقا فى السماء .. بدا لى سحاب أبيض فى شكل جمل يجر محراثا ... ولا رجل وراءه .. يتحرك الجمل ويثير المحراث زرقة السماء فلا تنبت زرعا .. وعاودتنى نوبة الضحك فجأة وعيناى بالجمل الذى ما لبث أن توارى محراثه فذنبه ، ولم يبق ظاهرا فى المستطيل الازرق سوى رأسه وعنقه والنير عليه ، والتف الصبية حولى ، وجاءت منانة مستبشرة فقالت : هات يا رجل ، بشرنا بنبأ يسر . دمعت عيناى واستقمت فى جلستى لعل النوبة تتوقف ، ثم استسلمت من جديد ، وتساءلت سعاد : هل استفاق ضميره وعاد الى الحق ؟ وبدا لى أن منانة غضبت من استرسالى فى الضحك فقامت منفعلة وانصرفت الى قدرها .. أما الصبية فلم يبرحوا مكانهم .

استحال الضحك سعالا فنشيجا فحشرجة .. وصاحت سعاد :

ـ أبى ! مالك تسعل هكذا ؟

صرت التقط أنفاسى بصعوبة وامتدت يداى الى أزرار القميص افتحها ، بادرت منانة فأسندت رأسى الى ركبتها وقربت احدى البنات كوب ماء من شفتى فدفعته وأغمى علي .

قيل : ان الجيران فزعوا لبكاء النسوة فاقتحموا البيت وتعاون رجلان على وضعى على الفراش . وأحضرت منانة زجاجة عطر قديم قربته من أنفى ودهنت صدرى ورقبتى وكتفى بزيت ممزوج بمسحوق عود القرنفل وتلت

علي ما تيسر من قصار السور التى تحفظها ... ورتلت بعض التعاويذ ونذرت لولية الله الصالحة « ميانة » دجاجتها الوحيدة ان أنا افقت سليما . وأفقت هادئا متزنا لا أشعر بألم ... تلمست رقبتي وانكرت لزوجة الزيت .. فقلت لمنانة : ما هذا ؟ لم تجب ، وانخرطت فى بكاء عنيف .

قالت لطيفة باسمة : كدت تموت ... لم أكن أعرف أن من السعادة ما قتل .

وبدأ البيت يضيق وأنا أذرعه جيئة وذهابا ، ونظرت الى المستطيل الازرق فوق رأسي وسألت زوجتي : أين الجمل ؟ لقد كان هناك ، كان يحرث السماء وكانت الأتلام تمتد وراءه مستقيمة زرقاء ... هل رأيت السماء تنبت شيئا يا منانة ؟ هل نالك من خيرها نصيب ؟ ولكن أين الجمل وأين المحراث ؟

جىء بالمؤدب فتلا ما تيسر من القرآن وأنا أستمع اليه ، وسألنى وهو يتناول الشاى : ماذا تحس ؟ قلت له : لا شىء ، أنا بخير ، وقد سمعتك تتلو سورة الجن .. قال : أنت مريض يا رجل .. ولكن ستبرأ إن شاء الله على يدي .

صحت بالمؤدب : أنا مريض ؟ أرأيت الجمل يمر بالسماء ويجر وراءه محراثا يثير به زرقتها ؟ أرأيت النير على عنقه ؟ قال المؤدب مجاريا : نعم رأيته ... لقد ركبه أحد ومضى به بعيدا . فقلت له : وولدي .. هل رأيته ؟ ولدي ...

★ ★ ★

سألونى : متى غادر البيت ؟ وأين ذهب وهل قام بالخدمة العسكرية ؟ ولماذا أتركه بدون رعاية أو مراقبة ؟ وأعلمونى ختاما أنه ضبط على الحدود متسللا خلسة الى ليبيا ، وأنه الآن سجين ينتظر المحاكمة بتهمة محاولة اجتياز حاجز الحدود بدون جواز .. وأنه بامكاني زيارته ... بقابس .

★ ★ ★

أمسك الحاج ابراهيم بتلابيب المؤدب وبدأ يهزه بعنف :

– استمع إلي أيها المؤدب . أنا أقدر وأحترم ما حوى صدرك من كلام الله..ولكننى لست مجنونا ، وأنا شديد الوضوح ، من قال لك : إنى مجنون؟

من هو الجدير بأن تتلو عليه سورة الجن وتلبسه صورة الشياطين؟ أنا ؟ لقد أخطأت الحساب ... اتهمونى بالاستلاء على مصوغ لأتزين به .. أو تتزين به زوجتى .. تعالى هنا يا امرأة ! هل أن هذا العنق يصلح للعقود ؟ هل تصلح هذه الاصابع لحمل الخواتم ؟.. هل يصلح هذا المعصم للاسوار ؟.. انظر الى الاطفال واحدا واحدا هل ترى فيهم وجها واحدا تعلوه مسحة نعيم ؟ اذهب وقل لهم : إن ابراهيم ليس مجنونا . وقل لهم : إنه يأنف السرقة والاحتيال.. وماذا يفعلون بأثاث بيتى يا مؤدب ؟ إنه لا ينفعهم ، ولا حاجة لهم فى بعض الدنانير الصدئة .. من سيشترى مثل هذه النفايات ؟ فقير مثلى ولا شك ، وهم يأخذون النقود ، نقودا مبللة بالعرق ، تاوث حافظاتهم النظيفة .. قل لهم كل هذا أيها المؤدب .. قل لهم : إن ابنى عاطل والآخر سجين .. ويقولون: « زره فى سجنه بقابس » ... أين هو الاثاث الذى يريدونه ... أخرجيه يا امرأة ·· أخرجيه الآن ·· انت طالق ان لم تفعلى ·· هات الوقيد ·· لا داعى لاثبات ملكيته ·· سوف يأخذه العدم ونستريح ·

* * *

انبعثت النار فى لحظة جنون ، وتعالى صراخ الصبية ، وأقبل الناس يرومون الاطفاء فمنعهم الحاج ابراهيم وسد الباب الضيق بجسمه ووقف ينظر الى ألسنة النار تلعق الخشب قبل أن تلتهمه فى تلذذ وشره .. لكنه لم يجرؤ على لمس التلفاز .. دخل الرجال عنوة وأنقذوا ما أمكن انقاذه والحاج ابراهيم يصارعهم بجسمه النحيل ، تكسر زجاج النافذة فبقي محجر البيت مظلما كعين مطموسة .

خرج من جاء من الاجوار...وبقي المؤدب يحوم وسط الدار عاقدا يديه وراء ظهره محوقلا ·· وأطرق ابراهيم صامتا ، وكف الصبية عن البكاء والنسوة عن تمزيق الثياب والصدور والشعور .

طفلا مريم يلهوان حبوا على الارض عاريي العورة ، يجمعان قطع الزجاج ، فجرح أحدهما وسال دمه .. فحملته أمه وخرجت تلبي داعي زوجها ، فقد أقبل الساعة من القهوة سكران ، وهى تحذر غضبه فى مثل هذه الظروف ، فالخمر والبطالة يجعلانه مشاكسا غضوبا .. قررت أن تتحمل الليلة صفعاته بأريحية وتسامح اذا رأى الطفل جريحا.. فأين تذهب وأبوها على تلك الحال.. وتنهد ابراهيم بعمق وأخذ المكنسة وجمع قطع الزجاج .. أحس أنه غير قادر

على رفع رأسه الى السماء ، فبحث فى قطع الزجاج لعله يرى الجمل والنير على عنقه ، ولكن قطعة الزجاج كانت عشواء .. فحطمها بعقب الحذاء .

* * *

جاء العدل المنفذ وهدد بابلاغ الامر الى السلط ، فدست منانة فى جيبه ورقة من فئة خمسة دنانير ... فتحسسها وسكت ، واكتفى بأخذ التلفاز وعرضه للبيع بالمزاد .

* * *

قالت سعاد : إنى أشعر كل ليلة بالبرد الشديد ، بعد أن تحطم الزجاج ، فأحضر أبوها قطعة خشب عوض بها البلور المكسور .

تقف سعاد وراء النافذة حيث تعودت أن تقف طويلا ، ولكن الخشب الثخن لا يتيح لها رؤية الدور المتصففة فى نظام وتناسق وسط باقة خضراء ، فتجلس على كرسيها الصغير وتغرز عينيها فى التطريز حتى تكون العتمة فتقوم الى زر الكهرباء ...

تغير نظام الحياة وأصبح النوم يأتى مباشرة بعد « قطعة الخبز » أو « ملعقة الكسكسى » .

* * *

جاء « صالح » بعد أن أوقف عشرين يوما ... جاء وفى جيبه تخطئة بخمسين دينارا من أجل اجتياز الحدود ، وروى لعائلته قصة ايقافه من طرف حراس الحدود .. قال إنه كان يتقدم فى الرمال ولكن قدماه تغوصان وتعوقانه وعلق أبوه :

ـ جرى لك ما جرى للنحلة والزجاج .. ترى الحرية والانطلاق فتهجم ، ولكن يحدها حاجز لاتراه .

وأطلق الأب ضحكة واسعة رنانة .

وأدرك العائلة الوجوم ... إن تلك الضحكة ستنقطع بعد حين وسوف تصبح نشيجا فحشرجة ...

عبد المجيد النفزي

السّديح الحاوية

شعر: محمد الأمين الشريف

إلى روح الشاعر العربي خليل حاوي .
حين تسقط لغة الصفاء تنبت بدلا عنها لغة الاحتراق والدمار. حين يصبح القتل لغة تتعاطى التعبير بدل الكلمة والفكرة ينتحر الشعراء .

وأخيراً ...
اسْتَدْرَجَتِ الريحُ النايْ
ركضت فيهِ بدونِ عنانْ
فتشققْ ...
فانْشَطَرَتْ أوْصالُهُ ...
فانْهارَ .. فَصَمْ ..
صمتَتْ منْ حوله كل الأصوات
صوتُ جناةٍ حمقى ؛
صوتُكْ ...
صوتُ أجنّةِ أوهامِكْ ..
صوتُ ملاكٍ يهواكْ
وتهاوت صومعةٌ ،
وانفصمتْ افكارْ .
واحترقتْ جامعةٌ ،

وانحطّ شعارْ .
حين تحولتِ الريح ...
الى نهرِ رَمَادْ
حين اتشحتْ ثوبَ دمارْ .
حين استَعْصَتْ
فارتطمتْ فوق الأرض دواهْ ..
فانقرضت أقلام ..
فاحترقتْ خلفَ رتاجِكَ أوراقْ .
وانتفت الرؤيةُ ..
ضاع المشوارْ .
ريحك لنْ تأتيَ بعد لواقحْ ..
جاءت لتؤجج ويلاً وعذابا ..
جاءت كي تنبت حزنا وخرابا ..
جاءتْ كيْ تؤذيَ وطنا ..
قلّ على الأرض بهَاهْ .
جاءت كي تصنع عجزًا ،
وتعلّب معرفةً ،
وتصاعد مأساهْ .
جاءت كيْ تفرضَ بالقَهْرِ الموتَ ..
الموتُ يدجّجُنَا مَوْتا ..
أبدا لنْ ننساهْ .

محمد الأمين الشريف

رؤوس جهل .. وغواية ..

بقلم : محمود الشبعان

عندما تنسلخ أمة عن قيمها ، وعندما تتجافى عن أصالتها يكثر فيها الادعياء والمتزعمون . وكل قادم ينبرى فينادى : « مني تكرع ! » (١) .

مربى الدواجن يتأستذ ، ومعاطن الابل تتفندق ، والبغاث فى البلاقع يستنسر .

وبداية المخطط لدى كل دعي : نسف الآثار لما تبقى من قيم والقاء ألقاب الرجعية والتخلف والتعصب والبله والتقليد والجمود .. على كل علم من الاعلام التى حررت العقول وأنارت البصائر ردحا من القرون ، يهزؤون بهم ، ويتنكرون لهم وينكرون، حتى أنهم ليقذفون فى النفوس البريئة عقدا ومركبات فاذا هى مذبذبة : ان ثبتت قدمها على الاصول الصلبة اتهمت بالغباوة والتخلف، وان حاولت طيرانا مع القافزين تلاعبت بها العواصف ، وربما ألقت بها فى جب سحيق !

وليس انتشار هذه الظاهرة مقصورا على ميدان ، كالسياسة أو الاقتصاد مثلا ، أو على قطاع كالتعليم ، أو التطبيب . ولكنها آفة تستشرى فى أى مظهر من مظاهر التعايش بين البشر .

ولعل حدوثها فى ميدان القيم والعقائد ، والدين فى مجموع مشمولاته ، لعله هنا نذير الطامة الكبرى ، وسوء المنقلب ، والعياذ بالله !

---

(١) كأنى بالمثل العامى « مني تقرع » (بالقاف المثلثة) ، محرفا . اذ المقصود : « مني تأخذ ـ عني تتعلم » : أنا المعين ، منه تكرع ! أى ترتوي مباشرة !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ... **ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا، فسئلوا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»** (حديث صحيح) (2).

وتستوقف الفكر فى هذا الحديث الشريف عبر جليلة متعددة ، نتريث لحظات عند بعض منها :

لا شك أن من علامات الاقتراب من النهاية ، وحلول الافلاس ، تقلص آثار العلم ، والانتكاس فى مساحق الجهالة ، فيخبو سلطان العقل ويفشو الدجل والشعوذة (باسم التقدم أحيانا ، وباسم الفتح والالهام أحيانا أخرى ، وباسم الرجوع الى الاصل تارة ، وباسم الاقتداء بالمتحررين أطوارا ...) .

ومن حكم الله البالغة فى العلم أنه لا يورث . فاما أن يسعى اليه كل فرد بنفسه ويكتسب منه ما تؤهله له همته (وكذلك وبالخصوص محيطه) ، والا فالجهالة والحيوانية !

معنى هذا اذن أن الله لا يقبض العلم ولا يرفعه ولا ينتزعه ، وانما الافراد والشعوب هم الذين يقضون على أنفسهم بالجهالة إن حنوا اليها أو عجزوا عن تحمل أمانة العلم .

والله تعالى حين يقبض العلماء لا يتعجلهم ولا يؤجلهم ، وانما هى آجالهم ، كمجموع مخلوقات الله ، تحضرهم فتلفهم وتطوى صفحاتهم .

والعالم الحق يحيا عالما عاملا ، ويموت مجاهدا. و «العالم» المزيف قابع. تمله الحياة فيملها،فاذا به من الذين يتعجلون آجالهم ، وكثيرا ما يموتون قبل أن يقبضوا . وذلك حين يرون فلا يبصرون ، وحين يخرسون ، ويتزملون ، ويضعون أصابعهم فى آذانهم ...

و « الرؤوس » رؤوس الشؤم والضلالة والجهالة والعمى ، من أين تأتى وكيف تندس ، ومن الذى ينصبها للافتاء والامامة ؟

قال الذى أوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم : «اتخذ الناس رؤوسا» ! « الناس » ؟ ــ نحن جميعا !

(2) رواه البخارى ومسلم ومالك والترمذى ...

نعم أنت وأنا ... كلنا ، متى استحققنا الذلة والضلالة ! فالناس فى كل مجتمع هم الذين يفرزون من بينهم كائنا على هواهم ، يبرزونه بطـلا يتقمص مطامح الناس ، فاذا هو ينفخ وهم يرقصون .
والامم التواقة الى العزة والنخوة هى التى تصنع روادها ليقودوها الى القمم.

ورؤوس البلاء والفتنة ليست هى التى تبادر دائما الى التأثير والتحـريف والاضلال . بل الذين نصبوا تلك الرؤوس هم الذين يبدؤون . قـال عليـه الصلاة والسلام : « **فسئلـوا** » ! هم اذن مفعول بهم ، بل نائبـو فاعل ! وانما الفاعل الحقيقى المجتمع الذى أعدهم ونصبهم ، وما هم فى الواقع الا ممثلون .! وان خفت عنهم صوت الملقن ، ضلوا فحاولوا الارتجال ، لكن الوطاب صفر ! لذلك « **أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** » .

فغريب حقا أمر هذه الرؤوس ونشأتها ومصير المجتمعـات التى تفرزهـا وتخر لها وتكون هى ضحيتها !

وأغرب منه أن يحاول بعض من لم يدخل فى الحضرة بعد فضـح مخططات تلك الرؤوس ، فيقول عنه بعض المجاذيب : انظروا ! هـا هـو ذا رأس من الرؤوس قد سبق الدجال ، فاحذروه !

محمـود الشبعـان

ننشر فى الاعداد القادمة :

جدلية الشرق والغرب فى الرواية العربية المعاصرة

دراسـة بقلـم : محمـد البـاردى

الفـــراشـة

شعر : عبدالسّلام الدرقاش

أكـادُ حين يشربُ الدجى انطفـاءةَ النهـارْ
ويغسلُ الندى براعم الثمرْ
أنْ أسمع الربيع في شرائح الشجرْ
يهيش في العروقْ
وأسمع المطر
في البلدِ العتيق يُنهض الجذورْ .

* * *

أكادُ أسمعُ القرى تئن والقبورْ
تنشـق عن جمـاجم من نارْ
عليها ينعـس القمـرْ
يُؤرجحُ السنابل المضيئهْ
فتشرئبّ منْ مخابىءِ الطيورْ
أعناقُ أومأتْ الى المطرْ
أن تخصبَ البطاحْ
ليشرق الصباحْ يرتدي
لوْن الضمائر العطاش للغدِ ،
لوْنَ الأقاحْ ...

* * *

كأنما الفراشةُ ارتدتْ
في ريفنا الوجيع حمرةَ الجراحْ ،
وهوّمـتْ ..
مِنْ زهرةٍ .... لـزهرةٍ ...
تبعثر اللقاحْ ،
تَرْجو منَ النهار أن يطولْ :
ـ « نهـارُ
يـا نهـارْ
يا سترة تلحفتْ بها الحقول كالنضار..
تشعّ ، كالجليد يعمرُ التلالْ . »

* * *

إني اشتهيتُ أن أرى ..
تفتق البراعم السخيه ،
وأشهدُ الصباحَ في القرى ..
يُبعثر الحياة في العيون ، والندى
على الغُصون يوقظ الثمر .
أي انبعاثة ؟
أهبّ منها ... أنتصرْ ..
على الظلام يا نهارْ
وددتُ لو يضجّ خلفيَ الصغارْ
يصرخونْ :
— « براعمُ الغصونْ ..
هذا الربيعُ جاءْ ..
وأنت يا فراشه
معَ انطفاءة الدجى ..
تكشفتْ لك الحياةُ
هلْ يهونْ ؟ ..
عليكِ أن تسرّحي شذى الزهورْ ؟ »

— « أنا وددتُ لوْ نطيرْ
إليها نرتقي معا
كما الدخان ساعة الغروب ،
يرتقي السقوفَ ، نختفي ..
عن عالم الدماء والحروبْ ،
وددتُ لو نغيبْ
في برزخ الاله ، نشتكي
جرائم الرجالْ
من عمموا التلال بالجماجمْ
(وشردوا الحمائمْ
وجردوا الغصونْ) .
ويصرخون .. يصرخون .. يلهثون ..
يُلقُون بالهياكل الهزيله
على الثرى الندى
وددتُ لو في غمرةِ انعتاقي
أنهدّ في الشباكِ .
وأنتهي ...
ويفرحونْ . »

عبد السلام الدرقاش

* * *

أعلام «قمّودة» الاسلامية

بقلم : أبي القاسم محمد كرو

ـ 2 ـ (*)

يحيى وعبد الله الحفرى :

عبد الله بن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الحفرى ، نسبة الى حفرة كانت أمام داره بالقيروان وهو وأبوه من علماء القرن الثالث ، وأصلهم من الفرس ، وقد كان هو وأبوه من المعمرين ، ولم يذكر احد أين ولد يحيى وابنه عبيد الله . لكن تاريخ الميلاد والوفاة لكل منهما ثابت في عدد من المصادر . فيحيى الاب ولد عام 134/751 وتوفى سنة 237/851 اما عبد الله فميلاده سنة 199/814 ووفاته سنة 289/901 .

وكان يحيى عالما بالفرائض والحساب منذ شبابه ، ولما طلبه الامير ليتولى منصبا في بيت المال هرب الى المشرق حيث تلقى العلم على عدد من مشاهيره كيونس بن مرقد ، والفضل بن عياض ، وسفيان بن عيينه ، وسمع بافريقية على عبد الرحمن بن زياد . وتتلمذ عليه «يحيى بن عمر ـ دفين سوسة ، وبشر كثير من اهل القيروان ، من اصحاب سحنون ، فهو اذن معاصر له (24) ولما مات دفن بقرب البهلول بن راشد ، وفي هذا تقدير كبير له .

اما ابنه عبد الله فقد خلف أباه في الرواية والتدريس لكنه انتقل الى مجدول وبقى بها الى ان مات سنة 289/901 فهو قمودى الوفاة ولعله مولود بها . اذ اننا لا نرى سببا لسكناه بها غير كونه احد ابنائها . خاصة وهو من كبار علماء عصره ، وكانت الفرصة كبيرة امامه في عاصمة الاغالبة ليكون

(*) انظر الفكر ع : 1 ـ س 29 ـ أكتوبر 1983 .
(24) المعالم : ج 2 ، ص 41 .

حيث يريد بطموحه وعلمه . ولكنه فضل الاقامة بمجدول بعد ان بلغ من المكانة العلمية والشهرة في مجالس العلم بالقيروان حدا تلقى فيه العلم على يديه مشاهير العلماء في جيله وتلاميذهم يقول القاضي عياض عنه :

« سمع من أبيه وسحنون وغيره . وكان شيخا صالحا ثبتا سمع منه سليمان بن سالم ، وأبو العرب ، وغيره » (25) .

موسى القطان :

بعد أبي بكر القمودي الذي ناظر الشيعة وانظم اليهم خوفا من بطشهم نلتقي مع قمودي آخر ناظر الشيعة ولم يخش بطشهم ، وان ترك المواجهة معهم لينشر مذهبه وأفكاره بعيدا عن المدن الممتلئة بعيونهم ومخبريهم .

ترجم القاضي عياض لصاحبنا موسى ، كما ترجمه وعرف به عدد كبير من المؤرخين والباحثين قديما وحديثا ، ويمكن القول بان القطان نال نصيبا من الاهتمام والعناية يعادل ما لقيه جميع اعلام قموده في كل العصور ولست أجد تفسيرا لذلك سوى عصبية أهل السنة لعلمائهم ، ولمن وقف منهم بوجه خاص ضد دعاة الفاطميين .

يقول القاضي عياض عن صاحبنا :

« أبو الاسود موسى بن عبد الرحمن بن حبيب المعروف بالقطان من عجم قموده ــ رحمه الله ــ مولى بني أمية ، صحب محمد بن سحنون سمع منه (26) ومن محمد بن تميم العنبري (27) ومحمد بن عامر الاندلسي (28) وعلى بن عبد العزيز وغيرهم ، روى عنه محمد بن مسرور ، وتميم ابن أبي العرب وأبو القاسم الروني » (29) .

---

(25) تراجم اغلبية ، ص 230 ــ 331 .
(26) توفي سنة 240/854 ، انظر عنه : عياض النفوس ، ج 1 ، ص 249 ــ 290 .
(27) راجع التعليق السابق ، رقم 6 .
(28) توفي بقفصة سنة 257/870 ، انظر عنه : بغية الملتمس ، ص 104 .
(29) تراجم أغلبية ، ص 363 .

ثم ينقل لنا القاضي عياض بعض الشهادات التى قالها علماء معاصرون لموسى القطان وهم من كبار العلماء والمؤرخين القيروانيين فى القرن الرابع ولست أشك فى انهم جميعا ممن تتلمذ عليه واخذ عنه العلم :

« قال القابسي : ما أعجب أهل مصر بمن قدم ، عليهم من القيروان اعجابهم به ، وأبى العباس بن طالب وأبى الفضل الممي .

« قال أبو العرب : كان ثقة فقيها .

« قال غيره : كان من الفقهاء المعدودين والائمة المشهورين .

« قال ابن الجزار : كان فقيها يعرف بالحفظ وله أوضاع كثيرة فى العلم .

« قال ابن حارث : كان يحسن الكلام فى الفقه على مذهب مالك واصحابه » (30) .

هذا ما شهد به معاصرون له ، ونقله عياض باهتمام وعناية .. وفى قول ابن حارث :

« كان يحسن الكلام فى الفقه على مذهب مالك واصحابه ما يفسر لنا وقوفه الصارم ضد الشيعة غداة انتصارهم الساحق على الاغالبة . فقد كان النصير الاكبر لابى عثمان سعيد بن الحداد زعيم أهل السنة فى مواجهة الشيعة (31) وكان له نعم السند والمعين فى تلك المجالس الخطيرة التى اعدها دعاة الشيعة كشرك للايقاع بعلماء السنة ، وخاصة منهم فقهاء المالكية الذين كانوا أكثر العلماء صرامة وصلابة فى الدفاع عن مذهبهم (32) .

وقد حفظت لنا كتب الطبقات نماذج كاملة لبعض هذه المجالس التى كان يتزعمها ابن الحداد ، ويناصره فيها بالنص والحجة الفقيه الثمودى أبو الاسود موسى القطان (33) .

---

(30) المصدر نفسه ، ص 363 ـ 364 .
(31) انظر عنه : تراجم أغلبية ، ص 351 ـ 363 .
(32) كان الاحناف والمعتزلة أكثر انسجاما مع الدولة الفاطمية ، وقد تحول منهم عدد كبير الى مذهبها .
(33) طبقات الخشني ، ص 258 ـ 275 ، وتراجم أغلبية ، ص 354 ـ 358 .

ونظرا لما كان يتمتع به سعيد بن الحداد من مكانة كبيرة لدى علماء السنة وعامة سكان القيروان ، فقد تجنب دعاة الفاطميين ورجال دولتهم اضطهاده أو الحاق أى ضرر به ، ونجا موسى معه بسبب وقوفه الى جانبه وحماية ابن الحداد له . فلما مات سعيد سنة 312/817 (34) خشي موسى على نفسه من الاستمرار فى مواجهة الفاطميين ففر من القيروان ولازم سكنى البادية ، وكان انصاره وتلاميذه يتسللون اليه للاخذ عنه .

وكانت شهرة موسى القطان قد جاوزت افريقية الى المشرق فلما اشتد عليه أمر الفاطميين واضطر الى الاقامة فى البادية اقترح عليه بعض اصحابه الهجرة الى مصر ، قائلا (35) :

« يا أبا الاسود لو مضيت الى مصر فيها خلق عظيم ينتفعون بك ، فقد بلغهم ذكرك فكان جواب أبى الاسود :

« ما طلبت العلم الا لهذا ، والا فلا نفعنى الله به يوم ينفع العلم أهله » يريد انه لم يطلب العلم ليكون مجرد معلم او استاذ بل ليكون داعية للحق ، مناهضا للظلم والباطل .

وليس فى قول أبى الاسود اية مبالغة او ادعاء فقد كان هذا هو موقفه وسلوكه ، قبل ان ينتصب الفاطميون حكاما للبلاد . فقد عينه الامير ابراهيم بن الاغلب الثانى قاضيا بطرابلس ، فى تاريخ غير محدد .. ولكنه بالتأكيد بين سنوات 283/896 و 289/901 ثم عزله وسجنه عنده بتونس داخل كنيسة . فبقي مدة طويلة ، ثم اطلق سراحه (36) .

وتختلف الروايات فى سبب سجنه كما تختلف فى سبب الافراج عنه ، كما اختلفت فى شأن سيرته اثناء توليه القضاء بطرابلس والمرجع ـ كما يقول صاحب المعالم ـ ان صاحبنا ، كان نزيها عادلا أمينا ، « فنفذ الحقوق وأخذ للضعيف من القوى ، فاجتمعت كلمتهم عليه » (37) فشكوه الى الامير بتهم

---

(34) تراجم أغلبية ، ص 363 ، وذكر انه لما مات أبو عثمان خرج البريد سحرا يبشر بموت الخليفة الفاطمى .
(35) تراجم أغلبية ، ص 364 .
(32) المصدر نفسه ، ص 364 .
(37) المعالم ، ج 2 ، ص 231 .

ملفقة ، وكان الامير ينتظر ذلك ، ولعله كان المحرض يجد المبرر لعزل موسى وسجنه ، فقد ذكر صاحب المعالم ايضا ان الامير اراد الاستيلاء على أموال اليتامى فأبى موسى ذلك.. فحقد عليه الامير وعزله وسجنه. ثم أطلق سراحه بعد فتوى أفتى بها وهو فى السجن . ومن المعلوم ان الامير إبراهيم بن أحمد قد تولى الامارة سنة 261/874 وانتقل الى الاقامة بتونس سنة 283/896 وتخلى عن الحكم لابنه سنة 289/901 فيكون موسى القطان قد عاد الى القيروان قريبا من هذا التاريخ ليواجه بعد سبع سنوات محة جديدة هى سطوة الفاطميين ، وشدة بطشهم بالمخالفين لهم من أهل السنة . وقد عاش سنواته الاخيرة فى البادية منفيا باختياره ، ولعله عاد الى القيروان قبيل وفاته بقليل حيث توفى سنة 306 فى شهر ذى القعدة افريل 919 .

وكان مولده سنة 235/839 أى ان عمره كان حين وفاته يناهز الحادية والسبعين عاما (38) .

وينسب اليه من الكتب « أحكام القرآن » فى اثنى عشر جزءا . كما ألف عالمان كتابين فى مناقبه لم يصلا الينا .. وكان اعتقاد أهل السنة فى صلاحه وتقواه كبيرا جدا مما حمل بعضهم على نسبة الكرامات اليه والقول بأن دعوته مستجابة (39) .

« قال بعض اصحابه : رأيت صاحبا لنا فى النوم ، فسألته عن استاذنا موسى ـ رحمه الله ـ فقال : ذلك رجل يدخل على الله متى شاء » (40) ولمن يريد متابعة سيرة الرجل وزيادة التحرى فى هذه الكرامات ان يعود الى المدارك ومعالم الايمان الذى له تعاليق رشيقة وتلميحات لبقة . وقد انفرد بنسبة أبى الاسود الى الطب ، وان لم يكن طبيبا محترفا او متخصصا .

القاضي ابن محفوظ :

بعد أبى بكر القمودى ، الشخصية المنحازة الى الفاطميين خوفا من شرهم ، وبعد أبى الاسود القطان الشخصية الصامدة فى مواجهة فكرهم واضطهادهم ،

---

(38) تذكر بعض المصادر انه ولد سنة 232 ، وتذكر انه مات عن 71 عاما ، فيكون التاريخ المرجح لميلاده هو سنة 235 .
(39) انظر عنه : المدارك والرياض والمعالم .
(40) تراجم أغلبية ، ص 365 .

نلتقى مع شخصية ثالثة ، تختلف تماما عن هذين الرجلين ، لا من حيث المكانة العلمية أو الدور التاريخي والاجتماعي بل من حيث انها شخصية شيعية التفكير والمذهب من قبل ان يظهر الفاطميون كحكام فى البلاد . وهذا يدل على ان القرن الثالث لم يكن قرن صراع عقائدى بين اتباع الفكر السني والفكر المعتزلى فحسب ، بل كان الفكر الشيعى موجودا ايضا كاتجاه عند بعض العلماء ، وان كان اتجاها ضعيف الاثر قليل الاتباع .

هذه الشخصية الثالثة هى القاضى محمد بن محفوظ القمودى الذى لا نعرف أين ومتى ولد !؟ وكيف انتقل الى القيروان وتعلم بها وعاش فيها معتنقا مذهب الشيعة فى محيط سنى متعصب ؟ ولعلنا نستنتج من هذا كله أمرين :

الاول : انه لا يمكن اتهام الرجل بالطمع والانتهازية او بالخوف والضعف تجاه الدولة الشيعية ، فالرجل كان شيعيا قبل وجود دولتهم ، وقد شهد بذلك علماء السنة انفسهم (41) .

الثاني : ان هذا التشيع القديم منه ، هو الذى جعل مؤرخي السنة يهملونه تماما ، ولم يذكره سوى مؤرخ اندلسى معاصر هو الخشني انما ذكره فى سياق تعداده لمن تولى منصب قاضى القيروان ، فكتب عنه سطرا واحدا هو :

« وولى القضاء بعد ذلك ـ اى بعد محمد بن عمر المروذى ـ محمد ابن المحفوظ ، من أهل لموزة . وكان شيعيا من قبل . فكان قاضيا حتى مات سنة ست وثلاثمائة » (42) .

وهذا السطر أو قل سطرا ونصفا ، هو كل ما ترجم به الخشني لابن المحفوظ .. ومع ذلك ، فان ما قاله الخشني فى غاية الاهمية ، فمنه نستنتج :

1 ـ ان ابن المحفوظ من كبار علماء افريقية ، لانه ذكره بينهم .

2 ـ انه من بلدة تسمى لموزة . ولا شك انها واحدة من معالم ثمودة المجهولة ، التى لا تعرف الا باسماء المنتسبين اليها (43) .

---

(41) طبقات الخشني ، ص 310 .
(42) المصدر نفسه .
(43) ينعت دائما بالقمودى فى جميع المصادر .

3 ـ ان ابن المحفوظ تولى القضاء بعد المروذى ، أى سنة 303 التى قتل فيها المروذى .

4 ـ ان ابن المحفوظ بقي متوليا قضاء القيروان الى حين وفاته سنة 306 .

ومعلوم ان قضاء القيروان كان أعلى مناصبها ، ولا يتولاه الا كبار العلماء والفقهاء .

وقد اهتم به المؤرخون ومؤلفو كتب الطبقات والانساب ، وحتى معاجم اللغة ، بسبب هذا المنصب .

فنحن نجد الاهتمام بابن المحفوظ ونسبته الى ثموده وتوليه قضاء القيروان، فى عديد المصادر الهامة ، مثل دستور الاعلام لابن عزم ، واقتباس الانوار للرشاطى (44) وتاج الروس للزبيدى (45) .

وجميع هؤلاء لم يزيدوا شيئا عن ذلك ، سوى الزبيدى وابن عذارى المراكشى فقد ذكر كلاهما وفاته فى سنة سبع وثلاثمائة ، وزاد المراكشى : ان ابن المحفوظ « كان ضعيف الرأى جائر الحكم » (46) .

ولست ادرى كيف استفاد هذه المعلومات لا سيما وان الخشنى المعاصر للثمودى لم يصفه بذلك ، بينما المراكشى عاش بعده بأربعة قرون • وحين نعرف ان المراكشى مؤرخا متعصبا للسنة وشديد النقمة على الفاطميين ، ندرك سبب انفراده بتلك المعلومات التى يبدو انه اعتمد فيها على الرشاطى وان لم يذكره .

(يتبع)

أبو القاسم محمد كرو

---

(44) كلاهما مخطوط .
(45) ج 2 ، ص 476 .
(46) البيان ، ج 1 ، ص 182 .

الدّراجة الصّفراء..
قصة : محمود بلعيد

– ٥ – (*)

وبقينا نتنقل من حقل الى حقل ، من مرعى الى مرعى ، ثم دخلنا غابة كبيرة متنوعة الاشجار، وسمعنا عصافيرها مترنمة ، مغنية : وشاهدناها تنتقل من غصن الى غصن ، من شجرة الى شجرة ، مرفرفة بأجنحتها متنادية متناجية بأصوات جميلة .. ثم نزلنا تحت شجرة لنستريح غير بعيد عن بستان كبير فيه اشجار مثمرة كثيرة ومتنوعة ۰ ثم شاهدنا رجلا داخل البستان يمر بين الاشجار . وشاهدناه فحييناه ، حيانا بلطف كبير . ثم أقبل علينا وسألنا : «من نحن ومن أين أتينا والى أين نذهب» ثم رحب بنا واستدعانا لزيارة بستانه فدخلنا فاذا نحن في جنان مترامي الاطراف وجعلنا ننظر الى اشجار التفاح بالقرب منا ، واشجار الاجاص ، والتين ، واللوز ، والدوالي المترامية بعناقيد العنب كعناقيد من ذهب متدلية بين اوراقها الخضراء ۰ وتجول بنا الرجل فرحا مبتسما يقص علينا قصة كل شجرة وعمر كل دالية ونوع كل شجرة تفاح .. وقطف لنا تينا من شجرة عظيمة .. ثم وقف أمام دالية وتحيل وقطع لنا بعض العناقيد ومر بكوخ صغير وغاب قليلا ثم عاد الينا يحمل « قرطلة » مملوءة تينا وخبزتي طابونة وقال لنا :

– هيا استريحا وكولا من غلة الجنان وخبز « الطابونة » ، ربما جعتما ؟

– وجعلنا نأكل بشهية ثمرات تين غليظة ممتلئة مفتحة ينبع منها عسلها قطرات كالعقيق ۰۰ وتظهر حبات صفراء داكنة كالجلجلان جعلنا نأكل بشهية كبيرة بعد جوع شديد وسفر طويل ونستريح بين الاشجار .. ونسمع العصافير .. فكأننا فى الجنة التى تظهر لنا أمام أعيننا عندما تقص علينا أمنا أوجدتنا فى تلك الليالى الطوال ليالى الشتاء ، وبالاخص ليالى الجمعة ، عندما

(*) انظر « الفكر » ع : 1 – س : 29 – أكتوبر 1984 .

تتركنا أمنا بجانبها ويتركنا أبونا نسهر قليلا مع أمنا او مع جدتنا ٠٠ ونقرا القرآن ونرتل ساعة ونحاول التجويد ٠٠ ونجود ونحرك رأسينا الصغيرين ونقرا عن :

« الجنة التى تجرى من تحتها الانهـار » وتفرح جدتنا ، ويشتد فرحهـا ، وتبقى برهة فاتحة يديها قائلة بصوت مرتفع : « ما شاء الله ! ما شـاء الله ! » « اللهم صل على النبيء! اللهم صل على النبيء! ربنا راض عليكما تمام الرضى. ستدخلان الجنة يا عصافير الجنة تقرآن القرآن ولا تحرفانه بل ترتلان أحسن ترتيل .. ثم نبقى ننصت اليها فتقص علينا أجمل الاقاصيص .. » .

بقينا نأكل بشهية كبيرة تحت الشجرة والرجل واقف قريبا منا ينظر تارة الينا بسرور كبير ويجيل تارة بصره فى الجنان ، ثم يلوح بصره بعيدا متبعـا حركات وتنقلات كل المارين .. وجعلنا نأكل عنبا لذيذا « مسكيـا » حلوا له رائحة تشبه رائحة الازهار وخبز طابونة طيب الرائحة ، سخنا شهيا ..

وقال لنا الرجل : إن الطاهر جاره يبيع الحليب فى تونس يذهب على دراجة كل عشية ، ويعود بعد المغرب ، والصادق ايضا يذهب إلى تونس على دراجـة والتيجانى ، وسالم وعثمان بوقرن أيضا ، اما النورى فمازال يخرج باكرا كل صباح على حماره ويعود عند منتصف النهار ، وتابع مبتسما انه لا يحسن ركوب الدراجة الى الآن ٠٠ ثم قال لنا ان له ابنا صغيرا وصغيرا جدا لـم يبلغ عمره اربعة اشهر ، يتمنى أن يكبر بسرعة ويصير طفـلا مثلنا ويحســن ركـوب الدراجـة ٠٠

نسينا العودة٠٠ نسينا المدينة هنا بين الاشجار ٠٠ نسينا حمام الرميمى٠٠ ونسينا نهج سيدى بن نعيم هنا وسط البستان ونسينا نهـج سوقى بلخيـر والدراجات امام الحانوت وعلى يمين الحانوتوعلى يساره ونسينا عم لعروسى!! فهو يترقبنا بدون شك هذه المرة يترقبنا بدون شك ولا ريب ، والشرر يتطاير من عينيه وهراوته الكبيرة فى يده ٠٠ وودعنا الرجل وشكرناه ٠٠ وادار أخى مقود الدراجة وانطلقنا .. أخذنا طريق العودة .. صمت أخى وصمت .. عـاد الينا خوفنا كله ٠٠ عاد الينا جزعنا سوف يصرخ فينـا بغضب يهتز لـه نهج سوقى بلخير كله ويهتز له نهج حمام الرميمى والحفير ، وباب الخضراء وحتى البلفيدار .. جعلت كل الافكار المظلمة القاتمة السـوداء الحـالكة تجـول فى رأسينا الصغيرين..وانطلقت الدراجة وكأنها فهمت كل ما يجول في رأسينا..

وانطلقت بخفة وسرعة وانطلقت كأنها سهم .. كأنها حمامة تنهب الارض نهبا تطويها طيا ، وأخي أمامي وأنا خلفه .. متشبث به لا أتركه وهو يتمايل قليلا كلما حرك ساقيه .. وجعل يدير الدواستين بخفة وسرعة فائقة .. وبقينا نعدو.. نعدو فوق الدراجة بسرعة مذهلة.. واجتزنا باب البلفيدار الثاني .. واجتزنا باب بلفيدار الاول والدراجة قد جن جنونها تحث حثيثا رهيبا .. ثم جعلت انصت وأملأ أذني .. فاذا بأخي يغني .. واذا به يضحك فاندهشت .. وتعجبت .. وبقيت استمع لغنائه وابتسم .. واضحك واطرب .. ودخلنا باب الخضراء من بابه الكبير .. ولم اصدق عيني .. ثم .. ثم .. ثم دخلنا نهج سوقي بلخير الضيق الطويل .. وترجلنا عند أوله .. وسرنا كالعادة اخي على يمين الدراجة وأنا على يسارها .. وجعلنا نتنقل ببطء ، صرنا لا نستطيع المشي على اقدامنا من شدة التعب ، صرنا لا نستطيع المشي على اقدامنا من كثرة ركوب الدراجة .. وشاهدنا في عتمة ما بعد المغرب شاهدنا الحانوت على بعد ولم نشاهد دراجة على يمين الحانوت ، ولا دراجة على يسارها ، ولم نشاهد دراجة الحائط المقابل ، وتبين لنا لعروسي أمام الحانوت شبحا واقفا ، ساهما مكتوف اليدين وباب الحانوت نصف مغلق .. واقتربنا وشاهدنا فخف الينا مرتبكا فزعا جزعا وفتح فمه فأسرع أخي قائلا وأنا أتبعه « كبير .. طويل .. شرير صعلوك افتك منا الدراجة الدراجة وانطلق وابتعد بعيدا ثم عاد عاد وقال لنا : تأخذا دراجتكما اذا امسكتما بي ثم ثم فر وجعلنا نجري نجري وراءه فيبتعد ويسرع ثم يعود الينا يا عم لعروسي ويقول لنا تاخذا دراجتكا يا اطفال اذا اذا امسكتما بي ثم ثم يفر وجعلنا نصيح ونبكي ونستغيث وغاب غاب ولم يرجع لنا الدراجة الا الآن الآن يا عم عم لعروسي .. »

محمود بلعيد

الاعلام الثقافي والتنمية الريفية

بقلم: البشير السايلي

• ان العبرة ليست فى وجود تلفزة ولا فيما يعرض فيها عـلى النظارة كما اتفق انما المهم ان نوفق الى بعث ارسال يرفع من مستوى المستمعيـن ثقافيـا وقوميا فى تونس التى انتابها من ضيم الاستعمار ما أنتابها (31 ماى 1966) ص 21 من خطب الحبيب بورقيبة ـ وزارة الاعلام .

هذا هو الخطاب السياسى الذى توجه به رئيس الجمهورية التونسيـة الى الجمهور منذ سبع عشرة سنة بمناسبة تدشين اول بث تلفزى ببـلادنـا ، وواضح من هذا الخطاب ما كان يعلق على الاعلام من اهمية للقيام بقفزة ثقافية تخلص الانسان التونسى من ضيم الاستعمار الذى انتابه طيلة ثلاثة ارباع القرن . وبقطع النظر عن الوضع الراهن للاعلام الثقافى والمراحل التى مر بها ، والسمات الاساسية التى يتسم بها فانى اريد ان اركز على طرح بعض التصورات الخاصة بآفاق هذا الاعلام الثقافى ، وعلى بعض وسائل تطويـره كما أراهـا شخصيا .

1) ضرورة ربط الاعلام الثقافى بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية :

لقد بات من المسلمات ان النهضة الاقتصادية والاجتماعية لا يتسنى لها ان تتم من تلقائها ان لم يواكبها فى الآن نفسه اعـلام ثقافى يستقطـب وسائـل الانتاج الاقتصادى ، من يد عاملة واطار مسير واليات متنوعة ، كما يستقطب افراد المجتمع فى مختلف أوجه نشاطهم ، فقد كانت الثورة الثقافية فى الصين ، وكانت التعبئة الثقافية للفلاحين والريفيين بمصر وسـوريـا والعـراق فى السبعينات من اكبر الحوافز واهم العوامل التى عملت على انجاح الاصلاح الزراعى ومكنته من تقديم أفضل النتائج فىالفترة المذكورة،ويؤكد المهندس إيليا حريق من مصر بعد دراسة ميدانية اجراها فى قرية مصرية : شبر الجديدة بمركـز دمنهور من محافظة البحيرة ان الاعلام الثقافى للفلاحين بالمنطقة المذكورة قد

كان له مردود ايجابى جدا على المحاصل الزراعية بها ، وعلى الوضع الاجتماعى والصحى لمتساكنى القرية ، فقد تمكنوا من انجاز العديد من المشروعات كردم البرك وتمهيد الطرق وتطهير قنوات الرى وبناء المساجد والمدارس وتمت لدى القرويين روح المبادرة والرغبة فى العمل المشترك » .
(ص 170 شؤون عربية التعبئة السياسية والثقافية للفلاحين) .

أما فى تونس فان المهندس احمد البوزيدى يؤكد فى ندوة الزراعات الصناعية المنعقدة فى 9 مارس 1983 بالقيروان ان الحملة الاعلامية الثقافية الجهوية التى واكبت الدعوة الى زراعة القطن بجهة القيروان سنة 1981 قد مكنت من انجاح هذه الزراعة الفتية نجاحا باهرا فى السنة المذكورة .

وما قيل عن تأثير الاعلام الثقافى فى مجال الزراعة يمكن ان يقال فى المجالات الاخرى كالسياحة والصناعة والتجارة غير انه ليس دائما من الضرورى أن يستهدف الاعلام الثقافى خدمة المسائل الاقتصادية والاجتماعية مباشرة ، لكنه يعمل بشكل من الاشكال على المدى القصير او المتوسط او البعيد على تنميتها وازدهارها فزيارة معرض للفنون التشكيلية او حضور مسرحية او مشاهدة شريط سنمائى او مطالعة قصة او الاستماع الى قصيد او الاطلاع على دراسة أو قراءة كتاب أو مجلة أو المشاركة فى منبر حر أو اشغال ندوة فكرية كل ذلك من شأنه ان يعمل على تجديد طاقة العامل والاطار المسير ، وان يزودهما بشحنة ثقافية تساهم بدرجة ما فى تكوين كل منهما او التفريج عنه ، وتساهم بالتالى فى تحسين انتاجه اما فى مستوى الكم او الكيف او فيهما معا ، كما تساهم فى تصحيح وتوجيه سلوكه الاجتماعى .

2) كيفية ربط الاعلام الثقافى بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية ؟

ـ العمل على تحسيس اصحاب الصناعة والتجارة ، والفنادق ومسيرى التعاضديات الفلاحية الدولية والخاصة باهمية الاعلام الثقافى فى المؤسسة ، ومدى مساهمته فى النهوض بها ماديا ومعنويا ، ودعوتهم الى التعامل والتعاون والتشاور مع المصالح المختصة فى هذا الميدان ويمكن بعث خلايا للاعلام الثقافى يتم تركيزها بالمؤسسات الكبرى (التى يتجاوز عدد المشتغلين بها 100 شخص) وذلك على شكل الشعب المهنية او الترابية للحزب الاشتراكى الدستورى وفروع الاتحاد العام التونسى للشغل وغيرهما من المنظمات الوطنية التى لها فروعها فى مختلف الولايات والمعتمديات وينبغى ان يخول للمسؤول عن الاعلام الثقافى بالخلايا المذكورة ان يشارك حتى فى اعمال مجلس الادارة

للمؤسسة خاصة وان مشاركته لا تثير أى حساسية قد تثيرها مشاركة بعض الاطراف ، هذا مع العلم ان المنظمة القومية للرياضة والثقافة والشغل يمكن ان تلعب دورا مهما فى هذا المجال .

ويكون من المفيد ايجاد صيغة من التعاون بين المسؤول عن الاعلام الثقافى بالمؤسسة وبين المسؤول عن الاعلام فى مكتب الولاية او فى مكاتب الاعلام بالوزارات التى نص عليها منشور السيد الوزير الاول الصادر فى 20 ماى 1982 .

وبالمناسبة يحسن التذكير بان الدكتور مصطفى الحزامى اكد فى كتابه الادماج الصناعى على دور الاعلام الثقافى فى المجال الاقتصادى حيث يقول فى محور المعطيات الثقافية والاجتماعية ص 113 .

« يعتبر فرنسوا بيرو فى كتابه اقتصاد البلدان الفتية ان الحوافز الفاعلة اقتصاديا فى البلدان السائرة نحو النمو تتوقف على بروز اعلام ثقافى جديد ومجتمعات جديدة تعارض حداثتها فى آن واحد الانماط العتيقة والقوالب الغربية الجاهزة» .

هذا وينبغى ان يتم تعيين المسؤول عن الاعلام الثقافى بالمؤسسة من طرف وزارة الشؤون الثقافية او من أية مؤسسة وطنية اخرى تعنى بتكوين الاطارات لهذا الغرض وتدعى وزارات التربية والاعلام والشؤون الاجتماعية والاقتصاد الوطنى للمساهمة فى تحديد الخطوط الكبرى لوظيفة هذا النوع من المسؤولين وفى تصورى أنه يمكن بعث هيكل خاص فى صلب وزارة الشؤون الثقافية يعنى بالتكوين المستمر لهذا الاطار بكيفية تضمن اشعاع المؤسسة ثقافيا ، وتضمن لها فى الوقت نفسه ولو حدا ادنى من الازدهار الاقتصادى ولابد ليصبح هذا البرنامج نافذ المفعول ان تلتزم المؤسسة الاقتصادية والاجتماعية بتجهيز وتمويل خلية الاعلام الثقافى المركزة بها وذلك بنسبة 50 بالمائة على الاقل .

والى جانب خلايا الاعلام الثقافى المقترح بعثها داخل المؤسسات الاقتصادية والسياحية والفلاحية والاجتماعية ، ينبغى دعم الاعلام الثقافى الموجود حاليا والذى تقدمه الاذاعات الوطنية بتونس وصفاقس والمنستير وتنظيمه من حيث التوقيت والمدة الزمانية والمحتوى ، بكيفية تضمن التركيز على الهوية الثقافية التونسية واحياء تراثنا الوطنى وحماية انتاجنا الثقافى القومى اولا ، وتضمن الحد من الاعلام الثقافى الغربى ، كما ينبغى توجيه ما يبث من اعلام ثقافى بواسطة القناة التونسية الناطقة بالفرنسية والايطالية (القناة الدولية) توجيها

وطنيا وانتداب مذيعين وواضعي برامج متشبعين بالثقافة العربية وغيورين على الذاتية التونسية بابعادها العربية الاسلامية والافريقية .

أما دور التلفزة الوطنية فى هذا المجال فيكون بتقديم تغطية اعلامية ثقافية قومية شاملة وبصفة دورية ، تؤخذ فيها بعين الاعتبار نشرات الاعلام الثقافية الجهوية والمحلية قدر الامكان .

وينبغي توجيه القناة التلفزية الثانية التى تبث الآن برامجها باللغات الاجنبية توجيها قوميا ايضا ومراقبة ما يصدر عنها من اعلام ثقافى اجنبى لا علاقة له بالتفتح الذى يقتضيه العصر وحرمة الاستقلال وخاصياتنا الثقافية حتى لا نقع فى التشاؤم الذى عبر عنه الدكتور طاهر بن جلون فى الكراس عدد 6 من سلسلة الدراسات الاجتماعية الذى صدر بعنوان العرب امام مصيرهم حيث قال : «ان تلفزة المغرب العربى كثيرا ما تدعم الثقافة الغربية وتقدم مسلسلات يائسة تؤكد الاستلاب الثقافى ومهزلة المصير ص 36 » .

على ان طبيعة التكوين الصحافى المكلف بالاعلام الثقافى ومستوى وعيه بمسؤولية عمله ومدى ما يعلقه المستمعون والمشاهدون من اهمية على ما يقدمه لها جميعا فى نهاية الامر دور كبير فى تحديد نوعية الاعلام الثقافى ولها دور اكبر فى فرز المعلومات الثقافية الوافدة او المستوردة من الخارج وتوظيفها او عدم توظيفها لصالح المجموعة الوطنية وخصوصيتها الثقافية .

اما دور الصحف والمجلات الوطنية فى مجال الاعلام الثقافى فهى وان اعتمدت فى كثير من الاحيان على الاثارة واشباع فضول القارىء وما ينزع اليه الشباب حتى قال بعضهم : ان قولك كلب عض رجلا ليس بنبأ وانما النبأ رجل عض كلبا ، وحتى قال عز الدين المناصرة أحد كبار الشعراء الفلسطينيين : « أنا على علاقة مشاكسة مع الاعلام فقد كانت نجوميتي تنبع من احساس الشعب بى . بينما هناك نجومية أخرى تنبع من تشويه الاعلام الثقافى للحقيقة ، حيث يصبح هز البطن اكثر شهرة من اى ابداع » . مجيبا احدى صحف اليسار التونسية بتاريخ 18 مارس 1983 عن سؤالها لماذا أنت لست معروفا ببعض البلدان العربية ؟

قلت وان اعتمد الاعلام الثقافى عندنا على الاثارة ، فانه فسح المجال دائما وفى السنوات الثلاثة الاخيرة خاصة وعلى مستوى الكيف لاعلام ثقافى يتسم فى رايى بشىء غير قليل من الجدية والوعى ومواكبة الاحداث الثقافية الكبرى .

أما على مستوى الكم فان الاعلام الثقافى عندنا يتقلص ليساوى ربع حجم كرة القدم أو أقل من ذلك وخاصة فى الصحف اليومية .

ونرى زيادة على ذلك ظاهرة تمركز الصحافة المكتوبة بتونس العاصمة وتبقى تبعا لذلك التغطية الاعلامية الثقافية بداخل الجمهورية ، وبالمناطق الريفية والحدودية سرا مكنونا او رهينة المناسبات والمهرجانات الموسمية ، وما يجود به نادرا بعض المراسلين ان وجدوا أو القراء ان كان لديهم واعز للكتابة .

ولن أطيل فى هذه النقطة فهى ليست من مشمولاتى فى هذا الموضوع .

3) ضرورة المزج بين الاعلام الثقافى والعلمى .

انى اتصور ان الاعلام الثقافى مطالب اليوم ان يتجاوز الحواجز التى تفصل بين الثقافة العلمية والثقافة الادبية وان يتيح المزيد من فرص الحوار والتلاقى بين الثقافتين وقد رحبت شخصيا بالحصة التلفزية الاخيرة ذات الصبغة التقنية والخاصة بالكاسيت من اعداد الاخ سمير العيادى ولعل أول مراحل كسر الحواجز يبدا حتما بتوحيد لغة التعبير فى كلتا الثقافتين عندنا .

أقول لغة التعبير (واستسمح الاخ المكلف بالحديث فى هذا المجال) لاننا فى تونس بل وفى بقية بلدان المغرب العربى لا نزال نعيش كما تعلمون مشاكل الازدواجية اللغوية على كل المستويات تقريبا : فى التعليم والادارة والمحيط وحتى داخل الاسرة ومن شأن هذه الازدواجية فى بلد محدود الامكانيات المادية وجماهيره العريضة غير متمكنة من هذه اللغة الاجنبية ، من شأنها أن تخل بوظيفة الاعلام الثقافى ، وقد لاحظنا جميعا خلال هذا الاسبوع بشريط من اللافتات على طول الشارع الرئيسى للعاصمة تحمل شعارات مكتوبة بخط عربى جميل لا يملك الناظر الا ان يرتاح لها ، ومنها :

- الجامعة التونسية تاصيل للذات وترسيخ للكيان .
- الجامعة التونسية هى الوسيلة لدعم ذاتيتنا الثقافية .
- الجامعة التونسية تفتح على المحيط .

ويتقدم المواطن من مجموعة الاروقة التى انتصبت فى نفس الشارع لتجسيم ما تنص عليه هذه الشعارات بصفة محسوسة ، فيلاحظ ان لغة الاعلام الثقافى قد تغيرت فهذا تسجيل صوتى عن الجامعة ومؤسسات التعليم العالى وانجازاتها واشعاعها باللغة الفرنسية وهذا شريط وثائقى متلفز يبث هو الآخر

باللغة الفرنسية برنامجا للتعريف باحدى المعاهد العليا بتونس العاصمةوتتقدم فى هذا المعرض تحف بك الاطروحات والمعلقات والتعاليق باللغة الفرنسية ، الى جانب الخطوط البيانية والمنشورات المكتوبة بالعربية ، فيخطر لـك أن تسأل احدهم سؤال المتجاهل عن معنى استعمال الفرنسية فى هـذا المعرض الوطنى الارشادى ألمفتوح مجانا للصغار والكبار وللأميين والعلماء وللمدنيين والريفيين وللسياح الالمان والعرب والايطاليين وغيرهم . فيجيب : ان مواد التعليم العالى لا تزال تدرس اليوم فى معظمها باللغة الفرنسية ، وان 90 فى المائة تقريبا من هذه الاروقة هى ذات صبغة علمية وتقنية ، ولذا فانه مـن طبيعة الامـور ان تستعمل الفرنسية فى هذه المناسبة على نطاق واسع .

ويفهم من هذا الجواب الذى لا موجب للتعليق عليـه ما يقام اليـوم مـن حواجز لغوية بين الاعلام الثقافى والعلمى ، وهى حواجز لا تقـف عند هـذا الحد ، ولا تقتصر على هذه التظاهرات الثقافية العابرة ، بـل هى متفشية فى بعض المجلات القطاعية مثل نشرية الطبيب التى تصدر عن عمادة الاطباء بوزارة الصحة ، والنشرية الاقتصادية Conjoncture بوزارة الاقتصـاد الوطنى ، وغيرهـا .

هذا بالاضافة الى حاجز ثان هو الخصوصية او الاختصاص بل ان الاعـلام الثقافى الادبى نفسه أخذ ينزع شيئا فشيئا نحو التخصص والتميـز ، فهذه مثلا مجلة الشعر ، وهذه مجلة الحقل للشعر الشعبى وهذه مجلة قصص ، وهذه مجلة جوهر الاسلام ، وهذه مجلة المراة ، الى آخره .. وهنا الاحظ اننى اعتبر شخصيا ان كل انتاج ثقـافى او علمى يقـدم فى المجـلات والصحـف والنوادى ودور الثقافة والمسارح والمهرجانات والهواء الطلق علاوة على ما يبث من برامج ثقافية وعلمية فى الاذاعة والتلفزة هو عندى جميعا من قبيل الاعلام الثقافى لانه سريع الاستهلاك والتجدد ويمس الجمهور .

وفى اعتقادى ان التميز اللغـوى والاختصاصى فى ميدان الاعـلام الثقافى والعلمى هو نوع من الانغلاق واسلوب غير مباشر ، وربما غير مقصود لاحتكار المعلومات وهو ايضا نوع من الترف والرفاه . وفى كلتا الحالتين، فان التعددية وان كانت رمزا مستساغا للديمقراطية فى العمل السياسى ، فانهـا فى رايى لن تنفع فى مجال الاعلام الثقافى الوطنى فى بلادنا التى لا تزال تعيش وضعا اقتصاديا هشا ولا يزال المواطنون فيها يتوقون ـ ولهم الحق فى ذلـك ـ الى اعلام ثقافى وطنى يتسم باكثر ما يمكن من الاشتراكية توفيرا للطاقات وخدمة للتنمية الشاملة وحفاظا على مقومات وحدتنا الوطنية والقومية .

أما جرائدنا اليومية والاسبوعية فقد قطعت شوطا مشرفا فى تجاوز هذه الحواجز اللغوية والاختصاصية فى ميدانى الاعلام الثقافى والعلمى وبالخصوص جريدة العمل والصباح والشعب .

غير ان هذه الجرائد وغيرها من الصحف الوطنية مدعوة الى تكثيف المراقبة الذاتية وتنقية المعلومات الثقافية والعلمية التى تدلى بها الى الجمهور حتى لا تصبح بوق دعاية لهذه الجهة او تلك وحتى لا يصبح اعلامها الثقافى العلمى نوعا من تعميق الشعور بالافلاس الفكرى والحضارى فى تونس والعالم العربى .

واذكر على سبيل المثال عينة من جريدة الصباح التى خصصت بداية من 22 فيفرى 1983 بابا جديدا بصفحتها الاخيرة بعنوان ارقام قياسية وقدمت له بكلمة جاء فيها :

« يتضمن هذا الباب معلومات عن الانجازات الكبرى التى حققتها الانسانية عبر التاريخ ومعلومات ثقافية واقتصادية وسياسية .. » .

وخطر لى اخيرا ان افحص ما تضمنه هذا الباب الجديد على امتداد شهر كامل ، فوجدت ما يناهز 175 معلومة ثقافية وعلمية وسياسية موزعة كما يلى :

- 73 معلومة تتعلق بالولايات المتحدة الامريكية .
- 48 معلومة تخص أوربا وجانبا من آسيا .
- 29 معلومة تخص فرنسا وحدها .
- 16 معلومة تخص العالم العربى باسره موزعة كما يلى :
  - 3 معلومات عن تونس .
  - 3 معلومات عن مصر .
  - 3 معلومات عن العراق .
  - 1 معلومة واحدة عن المغرب .
  - 1 معلومة واحدة عن الجزائر .
  - 1 معلومة واحدة عن السعودية .
  - 1 معلومة واحدة عن الكويت .
  - 2 معلومتان عامتان عن العرب .

ولولا ما عرف عن جريدة الصباح من الغيرة الوطنية والقومية ومن الولاء الخالص للحضارة العربية والاسلامية ، ومن تعاطف مع البلدان الافريقية ، لضرب اعلامها الثقافى فى هذا الباب رقما قياسيا ـ وخلال شهر على الاقل ـ فى تجاهل العالم العربى والافريقى . .

(يتبع)

البشير السالمى

لُؤلُـــؤة

شعر : محمد بن صابر

لـؤلـؤ ضـاء فى ابتسامة ثغـر　　وسبى العقل من حـلاوة سحـر
غـادة الحســن ما لهـا من مسـام　　فـى جمـال بـدت كطلعـة بـدر
تـنعش القلب إن مشت تتهـادى　　وتعيـد الحيـاة كالـروح تسـري
نـفحـة اللــه فى كتـاب عـزيـز　　ما عراهـا فى وعيـه ضيق صـدر
افتعيـا بـحـمـــل مصطلحـــات　　لهنـات تصـاغ مـن وقـد فكـر
انـمـا العجـز فى العقول اليهـا　　نـسـبـــوه مخـــادعيـن بمكـر
لـبسـوا صفوهـا باكـدار خلط　　مـن فـرنـج وانجليـز وعبـري
عـاث فيهـا فسـاد نطـق وفهـم　　عرب؟ أم يهود؟ أم لست أدري ؟
راح مـنـهـم دعـاة ألسنيـات　　ـ أدعيـاء ـ يصدونها نحـو قبـر
بـسيـوف من الصـرامة فاقطـع　　ألسنا ما تـزال بالافـك تغـري
يـا ابـن أمـي لسـانـا عـربى　　فى دمانـا بصـادق الحب يجـري
هات فاسق النديم من صرف راح　　بسنـا الضاد عنـد مطلـع فجـر

الأمير عبد القادر الجزائري الشاعر

بقلم: محمد العايش القوتي

بمناسبة الذكرى المائوية لوفاته

ان ديوان « نزهة الخاطر فى قريض الامير عبد القادر » تأليف الامير محمد نجل الامير عبد القادر الجزائرى قسم كاف يعطينا صورة واضحة عن قيمة الامير وقوته الشعرية ومقدرته الفنية فى الفخر والتهنئة والعتاب والشوق والتوسل واللغز والتصوف والمدح والتغزل وغيرها بدأ ينظم الشعر ويتعاطى قريضه وهو دون الخامسة والعشرين من سنه ولم يسبق له ان تعلم موازين الشعر ومقاييسه ولم يتلق أصول ومبادىء الشعر على استاذ ما خبير فى فنون الشعر وأصوله ، ولقد جمع بين كفاح السيف والقلم ـ فهو أول شاعر فى المغرب العربى الكبير كله وفى الجزائر خاصة ففى 23 فيفرى 1847 م. عندما وصل الى مقام سيدى ابراهيم الذى سبق منذ عامين ان انتصر فيه على الجيش الفرنسى وهزمه شر هزيمة فى ذلك المكان وجد فى انتظاره (الدوك دومال) ابن الملك والجنرالين (لامورسيار) و (كافنياك) وغيرهم من الاعيان فسلم نفسه اليهم بعد ان صلى ركعتين فى المقام وكان ذلك فى 23 ديسمبر 1847 وفى تلك الساعة التى سلم فيها الامير نفسه ردد شعرا جادت به قريحته وفاضت به نفسه هو ابن اللحظة قال :

قلدت يوم البين جيد مودعى … دررا نظمت عقودها من أدمعى
وحدا بهم حادى المطايا فلم اجد … قلبى ولا جلدى ولا صبرى معى
ودعتهم ثم انثنيت بحسره … تركت معالم معهدى كالبلقع
ورجعت لا أدرى الطريق ولا سبيل … رجعت عداك المبغضون لمرجعى
يا صاح، ع٠٠ وانصت لاخبار الهوى … حاشا لمثلك ان يقول ولا يعى
انى احدث بالهوى بغرائب … وعجائب حتى كانى الاصمعى
يا نفس قد فارقت يوم فراقهم … طيب الحياة ففى البقا لا تطمعى

ولنستمع اليه كيف يقول مفتخرا :

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السحاب لنا رجال
ركبنا للمكارم كل هول وخضنا ابحرا ولها زجال

قضي سبعة عشر عاما من الكفاح التحريري للوطن ونلمس صدق قوله في حكمته في فصل قضية تفضيل البدو على الحضر اذ يقول :

يا عاذرا لامرىء قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو والقفر
لا تذممن بيوتا خف محملها وتمدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

ثم يقول الشاعر الامير عبد القادر الجزائري :

سفائن البر بل انجا لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريح سرعتها بها وبالخيل نلنا كل مفتخر

وفي قوله :

ما في البداوة من عيب تذم به الا المروءة والاحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية والعيب والداء مقسوم على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى فنحن أطول خلق الله في العمر

اما بقية اغراضه الاخرى الشعرية غير الحربية والفخرية نجد شعره الغزلي وشعره الصوفي : يقول متغزلا بزوجته :

أقاسي الحب من قاسي الفؤاد وارعاه ولا يرعى ودادي
أريد حياتها وتريد قتلي بهجر أو بصد أو بعاد
وابكيها فتضحك ملء فيها واسهر وهي في طيب الرقاد

الى أن يقول :

اذا ما الناس ترغب في كنوز فبنت العم مكتنزي وزادي

اما شعره الصوفی :

فمكـة ذى خيـر البـلاد فديتهـا فماطاولتها الشمس يوما ولا النسر
بها كعبتان : كعبة طـاف حولهـا حجيج الملا بل ذاك عندهم الظفر
وكعبة حجاج الجنـاب الذى سمـا وجل فلا ركـن لديـه ولا حجـر

لقد امتاز الشيخ الامير الشاعر عبد القادر الجزائرى بتصويره الصادق لحالة وطنه تصويرا واقعيا عبر عنه فى روائع اشعار وقصائده لقد طرق كل أبواب الشعر من مدح وعتاب وفخر وتوسل وشوق وتغزل وتهنئة ومطارحة وما الى ذلك من الاغراض الشعرية المختلفة الاخرى فجاء شعره صورة طبق الاصل لما يقوله الادباء والكتاب اليوم فى تعريف الشعر من انه تعبير وتصوير صادق أصيل على غاية من الدقة والحسن والجمال .

محمـد العـائش القـوتى

مطالعات

عقد الانتماء ترسمه نعيمة الصيد في لوحات عنيفة ملتهبة

بقلم : بشرى الزيتوني

يقول « لويس أرغون » : « ... الحب في « مجنون إيلزا » حقيقه مرتبطة بضرورات انسانية ، بالعدالة ، بالسلام ، هو بحث معرفي في أصالة العلاقات بين الذات والآخرين ... » وهذا القول ينطبق الى حد ما على المجموعة الابداعية للكاتبة « نعيمة الصيد » « رعشة حلم » (*). وإن قراءة هذه المجموعة تكشف أن صاحبتها تخاطب الانسانية ، وما ذلك العشق المضطرم الا عاطفة سامية مرتبطة بالانعتاق بالتفاهم والانتماء ، عاطفة نقية تنتزع الانسان من فخ الاغتراب القاسي وتنازله بالحب والتواصل :

« قال : أنا خائف ... الاحباط يحاصرنا ... الخوف
شوك سريرنا ...
طوفانه زلزال ...
خبئيني في صدرك ... خبئيني أغنية خضراء ترفل بالاماني ...
حلما أبيض براقا ...
ضمته ... ضمته كعذوبة الحلم ... كلطف الغيث ...

(*) مجموعة « إبداعية » صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع .

قالت : لا تخف يا طفلى ... ابق على صدرى حلما لؤلؤي الوهج ...
يصحو وينمو فى مدى فكري ...
فلنقطع قضبان سجن الخوف ...
نحطم أغلاله ... » (ص 13)

فالمجموعة عالم يتأجج عشقا يرمى أساسا الى خلق اتحاد انسانى مطلق يترجمه حب صوفى وألفة بين رجل وامرأة الى حد الامتزاج والذوبان :

« الحب ليس عارا ...
العار أن تكذبى ...
ذوبى فى عشقك ...
احترقى ... » (ص 32)

ميل الى الآخر اذ هو عالم هذه المجموعة ، التحام مطلق ، رحلة حب طويلة عبر الحلم ـ والحلم يستطيع ان يلقى على اليقظة اضواء تمنحها مزيدا من البعد الانسانى ـ وهو أيضا محاولة الانطلاق وتحطيم الاباطيل ، هو جموح ورفض ايجابى مرتبط بالامل والخلاص الى عالم مشرق . ونعيمة الصيد كاتبة ، مبدعة وفنانة ترسم « الرحلة » انطلاقا من الذات ووصولا الى حضن الآخر ، وبلغة متميزة تتدفق شفافية تؤكد أنها رغم ـ « تحدى شيوخ القبيلة » ـ لا تعلن حربا وانما هو تحد يحقق التكامل ويخلق عالما أفضل ، عالما لذيذا يتوهج بالتوحد الانسانى . فلوحات نعيمة الصيد بصورها المدهشة النابضة بالتوتر والحياة تكشف لنا عن شعور كثيف بالحياة والانتماء فالرجل والمرأة ينطلقان « كطفلين » مبهورين بالحب يخصبان العالم ويدقان بعصاهما السحرية الحب ـ الاعاجيب .. إنها العودة الى الجنة المفقودة ـ الحرية :

« نلتقى يا حبيبى ... كطفلين ...
ننشر الحب ... نوزع الفرح فى هذا العالم ...
نبدد شقاءه ...
يتمرغ شعري على صدرك ...
يتنشق نسائم حنانك ...
تلتهم خصلاته لحظات الحرية ...
بعد طول قيد ...
وأحبك ... » (ص 18)

إنه الالتحام المطلق رمز الانتماء الحقيقى رغم النفاق « المقـدس » بين الفرد والفرد ، رغم القيم العفنة ، إنه الانتماء الى هذا العالم تحتـويه أحـلام هذه الاديبة المبدعة وتنشده فتجسده كلماتها :

« أتطاوس فى الدروب الموحشة ...
أفرش ذيول العشق المطرزة ... الزاهية
فراش أمان
للأجساد النحيلة الراعشة ...
يروي العيون الحائرة ...
وأقف بكبرياء ...
أقـف ...
بتحد رغم غضبهم ...
لا أبدي خطوة الرجع ...
تسكننى شهوة الانتصار على الوجع ... » (ص 33)

وينبثق الكائن الانسانى فى الانثى حيـن تكتشف زخـم الحيـاة فتنشـد الانعتاق وتنطلق عبر الدروب المغروسة جمرا ملتهبا ، بكل عنف محطمة كل الحـواجز :

« غادرت شطآن الزمن ...
شطآن عمري ...
أبحرت لعصر غير عصري ...
....
رغم أظافر الشراسة فى عنقى ...
رغم أيديهم الغليظة ...
رغم سكاكينهم ... وخناجر الحقد المزروعة ...
فى أضلعى ...
رغم انهم حاولوا تقييدى ...
حاولوا غزوي ... » (ص 3I)

والمرأة فى رحلة حب دائمة مع الرجل « تغتسل من أتعاب السنين السود » فكل لقاء هو زلزال يصدع الاغتراب الموحش المروع ، يخصب :

« جئت من أقاصى القارة الاخرى ...
جئت ...
فاعدت تشكيل عناصر حياتى ...
صارت أغنى ...
صارت أخصب .... » (ص 28)

وتتصدع الوحدة يسحقها كل لقاء بعد طول انتظار فالحب هو سيد الموقف :

« سوى حبك المعتق ...
يمزق حزنى ... أنتى الخرساء ...
تخترق صمتى وتنطق ... » (ص 45)

وتسمو علاقة المرأة بالرجل الى أعلى مراتب العواطف فيصبح « طفلها المدلل » وتنتشى فيصبح الحبيب « النبيذ المعتق ، القمر ، العمر والمالك ... »

وينكشف واقع المرأة المطحون بين حجرى الرحى ، فهى تنشد وتتوق الى عالم رائع نبيل لا يعرف الزيف والانحطاط والوجه المقنع القبيح ، عالم سلطانه الحب ، حيث تركض و « تسابق نهر التوتر فى دمها » متحدية الكل باسم العواطف وبصوت جميع النساء الذى يخرج من « خلف ثقوب الجدار » تصرخ وتعلن :

أنا امرأة ما انحنت للرياح والعواصف طواحين هوائى ...
رغم تعب قلبى ...
رغم بحة صوتى ...
رغم جرحى المصلوب على مقصلة الحب ... ذنبى ...
فأجفانى لن تكل النوم على قارعة العشق ... » (ص 16)

وهى امرأة صامدة متسلحة بعزيمة من فولاذ ، تتخطى حدود الزمن ، تزيل كل أسى تحوله الى حياة خصبة كثيفة :

أنا امرأة ضربت بصمودي جمجمة الصخر ...
وركضت ...
ركضت امتداد السنين ...
امتداد دمي ...
امتداد عمري ...
وانتهيت اخضرارا لفرحي ...
ازدهارا لوجودي ... » (ص 17)

وأجدني أنهي هذه الوقفة القصيرة في عالم « نعيمة الصيد » بقول « بولدلار » لعله ينطبق أيضا ء مجموعة « رعشة حلم » وهو « إن وظيفة الشعر هي استخراج المدهش الذي يغمرنا ... » والمدهش ـ أولا ـ في رعشة حلم هو تلك الغنائية الداخلية الطافحة المتدفقة نحو الآخر ، غنائية أرادت نعيمة الصيد أن تكون توقيع حضورها في هذا العالم . والمدهش ـ ثانيا ـ هو ذلك الجو الاسطوري والشاعري الذي تسحبه على المجموعة مهارتها في استحضار عناصر الطبيعة والنبات والجماد ، فكلمات مثل « غيث ، لؤلؤ ، نبع ، ريح ، اعصار ، بحار ، برق ، رعد ، فجر ، سنابل ، زهر ، صخر ، نيران ، انسام ، زنابق ، خمائل ... » تتردد كثيرا في هذه **المجموعة الابداعية**.

والمدهش ـ ثالثا ـ هو « ذلك الحب ، تلك الرنة ، رنة السكر وغنة السعادة وغمغمة النفس الساهية في غيبوبة الحلم » (1) ذلك الحب الذي تحدث عنه « أبو القاسم الشابي » ونشده ، ذلك « المعنى العميق العريق في النفس الانسانية الذي يهز المشاعر ويؤجج نيران الحياة » (2) .

ومن يلج عالم نعيمة الصيد لا يستطيع الا أن يستقر فيه وكله آذان لذلك الحوار الغني مع الذات ، مع الآخر ، متأملا ذلك العقد الهام ، عقد الانتماء .

بشرى الزيتوني

---

(1) (2) من كتاب : الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابي .

قراءات سريعة

● المجلة التونسية للدراسات الفلسفية

لقد أصدرت «الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية» وهى حديثة العهد . العدد الاول بتاريخ ماى 1983 من مجلة مختصة تعهدت باصدارها ومواصلة تطعيمها بالاراء والمناهج والنظريات والدراسات والمطالعات الخاصة بالفلسفة تحمل عنوان «المجلة التونسية للدراسات الفلسفية» وأراد المشرفون على المجلة أن تشمل اهتماماتها ثلاث نواح هامة هى الدراسات والترجمات والقراءات وتشمل الدراسات ستة مواضيع هى :

1 ـ تأملات حول دراسة الفكر الاسلامى لسعيد بن سعيد من كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط .

2 ـ مفهوم الدولة فى الفلسفة المعاصرة للاستاذ فتحى التريكى الكاتب العام للجمعية التونسية للدراسات الفلسفية .

3 ـ حول ابستملوجيا العلوم الانسانية لرجاء العترى .

4 ـ مع ديكارت فى تأمله الثانى لشهاب الدين اللعلاعى الفنملوجيا وولادة العلم الحديث .

5 ـ مسألة الوجود فى علاقاتها بقراءة تاريخ الفلسفة لمحمد محجوب .

6 ـ الخصوصية الارسطية الافلاطونية لابى يعرب المرزوقى أما الترجمات فهى اثنتان :

1 ـ مقولة «فلسفة اللا» لفاستون بشلار تعريب الطاهر ڤيزة .

2 ـ نص مأخوذ من كتاب « الكلمات والاشياء » لميشال فوكو (طبعة ڤاليمار 1966) تعريب زينب الشارني ويشتمل قسم القراءات على :

1 ـ أبو الوليد بن رشد : مسائل فى المنطق والطبيعيات تحقيق الاستاذ جمال الدين العلوى . عرض فتحى التريكى .

2 ـ بيار ماشرى : هيڤل أو سبينوزا ـ عرض فتحى التريكى أيضا .

3 ـ حول نظرة الشهرستانى لتاريخ الفكر أو العلاقة بين العقل والشيطان من خلال كتاب «الملل والنحل» لرضا الزوارى ٠

4 ـ هربرت ماركوز : البعد الجمالى عرض توفيق الشريف ٠

5 ـ الحضارة الارسطية من كتاب الفرد فون فوجت عرض لطفى العربى .

وينتهى العدد بطرق لموضوع المناظرة السنوية فى الفلسفة لعبد الملك التريكى من معهد منزل بورقيبة والموضوع كما يلى : «جعل الكلام ليخفى ما نريد» ما رأيك وأخيرا بالعدد أضواء حول نشاط الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية : تأسيسها ٠ انعقاد جلستها العامة ـ غاياتها ـ أنواع نشاطها ـ مشاريعها المستقبلية وخلاصة القول اننا من خلال تصفح العدد الاول لهذه المجلة المختصة ـ وهى الاولى من نوعها فى العالم العربى ـ نبارك جديتها ودسامتها ونتفاءل خيرا بالمستوى المحترم المرموق الذى ستحققه ـ لا محالة ـ قريبا ان شاء الله ٠

• **مجلة « الثقافة » :**

صدر العدد 75 بتاريخ جوان 1983 من مجلة « الثقافة » تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر وهو عدد خاص بالذكرى المائوية لوفاة الامير عبد القادر الجزائرى ولقد كان قد صدر عددان خاصان بالامير قبل هذا العدد أحدهما لمجلة « آمال » والثانى لمجلة الاطفال « امقيدس » بعنوان الامير بالرسوم .

وعدد الثقافة هذا لا يقل محتواه عن 15 بحثا تاريخيا و 10 بحوث ما بين فكرية وأدبية عدا الوثائق والمقاطع الشعرية .

• **خميس ترنان :**

كتاب لمحمد السقانجى صدر منذ أكتوبر 1981 عن شركة كاهية للنشر فبعد توطئة فى لمحة عامة عاجلة فى تاريخ الموسيقى التونسية فى شتى أطواره من فجره الى طور ما قبل خميس ترنان ، يتناول الكاتب حياة خميس ترنان وفنه وخلقه وابداعه .

وبمناسبة موته يذكر السقانجى مرثية الطاهر القصار بالفصحى ومرثيتى محمد المرزوقى ومحمد عطا بالعامية ثم من « أعماله الفنية » لصالح المهدى .

والجزء الثانى من الكتاب يشتمل على أغانى خميس ترنان نصا وترقيما موسيقيا مع صور تذكارية له .

• **المجلة العربية للدراسات اللغوية (معهد الخرطوم الدولي) :**

صدر عن تاريخ فبراير 1983 العدد الثاني من المجلد الاول للمجلة العربية للدراسات اللغوية عن معهد الخرطوم الدولي للغة العربية وهو عدد خاص في « تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها » ـ والعدد مزدوج عربي وانقليزي في اللسانيات وأهداف التعلم والتعليم والتدريب على الكتابة وأداة التقويم والاتجاهات الحديثة في تعليم الانقليزية .

وبالعدد بيبليغرافيا مختارة للمؤلفات اللغوية الصادرة بالسودان منذ الستينات .

• **رواية الدوامة :**

صدر من منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق بتاريخ جانفي 1983 رواية « **الدوامة** » لقمر كيلاني التي بدقيق تصويرها لنفسية المرأة العربية المعاصرة التي تعيش فعلا اليوم في دوامة ـ تثرى الحياة الادبية العربية وخاصة الرواية النسائية .

• **بيان الحب والعذاب :**

صدر عن دار الجليل بدمشق 1982 للكاتب السوري الشاب مهدي الراضي رواية « **بيان الحب والعذاب** » . ومن المعلوم أن محاولات الكاتب الاولى هي « حلم يوما » ثلاث مسرحيات 1979 ـ ومجموعة قصصية بعنوان « مدن الشمع » 1981 .

• **باللغة الفرنسية (CANA) :**

صدر باللغة الفرنسية (أفريل 1983 منشورات CANA) للكاتب السياسي الشهير والصديق الكبير للمجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة جان روس كتاب دسم بعنوان « **رجل في الظل** » يتناول فيه حياته السياسية والفكرية وصلاته بالزعماء والرؤساء وخاصة منهم الرئيسين الحبيب بورقيبة وهوشي منه .

وإن القراء ليعلمون جميعا نظرية جان روس عن « الاصلاح الثوري في البلدان الفتية المتحررة من الاستعمار والهيمنة الاجنبية كما انهم يعلمون انه يعتبر الرئيس بورقيبة رجل الانتصار على الاستعمار وصاحب الخطة السياسية الهادئة الضامنة للنتائج » .

محسن بن حميده

• **كتابات على حائط الليل :**

هى باكورة انتاج الشاعر الشاب عبد الله مالك القاسمى والصادرة عن « الأخلاء » فى عددها (27) وهى فى الحقيقة مجموعتان :

- مجموعة شعرية وتضم (14) قصيدة .
- مجموعة ابداعية تحوي (7) مقاطع نثرية غير خاضعة لايقاع القصيدة العربية ولكنها مع ذلك لا تخلو من شاعرية ومن احساس مرهف .

تمسح كتابات على حائط الليل (78) صفحة من الحجم المتوسط محلاة ببعض الرسوم الداخلية . وهذه عناوين بعض القصائد : صلاة أولى – أغنيات طائر المستحيل – من خلف الاسوار – أشهق بالحلم – الى منور صمادح – مقاطع جديدة من مقولة الحلاج ، وهى فى الحقيقة مجموعة تغري بالقراءة لانها لا تبخل على متصفحها بشيء من المتعة ودغدغة الاحاسيس وهذا المقطع خير دليل على ذلك :

أسألكم يا أحباب
عن زمن يقتلني :
(عرقا .. عرقا)
يقتلني شنقا .
يا أحباب
أسألكم عن مدن
تبحث عني في المحراب

وتصادرني
في قلبي : مئذنة
بيدي : صحف وكتاب
.... أسألكم
عن ليل طال
عن قمر غاب (ص 32)

وقد افتتح الشاعر مجموعته بقوله : (الى زهرتين فى روضة القلب : أبـي وأمي) .

بالاضافة الى ذلك فعبد الله مالك القاسمى كسر الحواجز بينه وبين القراء فصافحهم مباشرة بدون ان يقدم له أحد من اعلام الادب والفكر فى ربوع الخضراء وقد صارح القراء بمراحله الشعرية التى قطعها ليصل الى هذا المستوى وهى لعمرى سنة طيبة نأمل أن ينسج على منوالها غيره من شعرائنا الشبان .

وأهم ما ورد فى افتتاحية القاسمى قوله : (فالشاعر أو الكاتب عموما يواجه فى حياته ألوانا من الاحباطات والانتهاكات ينشأ عنها شعور بالقلق والخوف فلا يجد غير الكلمة وسيلة وسلاحا لاثبات كيانه والدفاع عن وجوده).

• **أهازيج :**

فى طبعة أنيقة محلاة بالصور واخراج ممتاز صدرت عن « الأخلاء » فى عددها (28) مجموعة شعرية للاطفال بعنوان **(أهازيج)** لشاعر توزر الشاب محمد علي الهاني وقد سبق لهذا الشاعر ان نشر مجموعة شعرية قبل هذه تحت عنوان « الجرح المسافر » وهى من منشورات « الأخلاء » أيضا .

تحتوى « **أهازيج** » محمد علي الهاني على (48) قصيدة موزعة على (64 ص) وتتميز بخفة فى الايقاع وسلامة وطرافة وجدة من حيث طرقها لعدة مواضيع تتصل بواقع الطفل وهى فى اعتقادنا لا تغري الاطفال وحدهم بالقراءة بل للكبار فيها نصيب من حيث نبل مقاصدها وصياغتها الفنية الجيدة . وقد قال الاستاذ الشاذلى الساكر فى شأنها فى كلمة التقديم انه : « بالرغم من قصر المقطوعات ـ المقصود ـ فانها تمتاز بكثافة المعانى وتساعد على تكوين ملكة التخيل لدى الطفل وعلى عملية الابتكار عنده » .

يقول الشاعر فى : **نشيد الوحدة** (ص 62) :

عرب كلنا   واحد ربنا   واحد ديننا
فعلام الفنى ؟   اسرعوا نتحد   ننتصر .. ونسد
فى انعدام الحدود   نهضة وصعود   وصباح جديد

والمجموعة حافلة بالقصائد والاناشيد ذات الصلة بالمدرسة والجو المدرسى وبالعطل والغاب والواقع اليومى حيث نجد بعض الاناشيد الوطنية وغيرها من الاناشيد التى تندد بالظلم والقهر وتدافع عن حقوق المعذبين فى الارض ـ وخاصة عن قضية فلسطين ـ كما ان هذه المجموعة تمتاز بخلقها لحساسية طفولية لدى الصغار حيث تشعرهم بعض القضايا المصيرية مثل الوحدة العربية ومجد الحضارة الاسلامية وغير ذلك .

ولمحمد علي الهانى انتاج غزير ما زال ينتظر فرصة الظهور على الساحة الثقافية فى بلادنا من ذلك مثلا :

ـ **صهيل الحريق** (شعر)
ـ **قنديل الحزن** (شعر)
ـ **ترانيم** (مجموعة شعرية للاطفال)

الى جانب كتب نقدية ونثرية أخرى .

الحبيب بن فضيله

أصدقاء الفكر

● **تدشين مقر اتحاد الكتاب التونسيين :**

دشن السيد محمد مزالى الوزير الاول والرئيس المؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين مساء أمس المقر الجديد للاتحاد الكائن بـ 20 شارع باريس بالعاصمة بحضور السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية وثلة من رجال الادب والفكر والثقافة .

وبعد أن أزاح الوزير الاول الستار عن اللوحة التذكارية وقطع الشريط الرمزى تجول عبر مختلف قاعات المقر الجديد ثم خط كلمة فى السجل الذهبى ضمنها تأثره واعتزازه بتدشين هذا النادى ومشاركة الكتاب الادباء فرحتهم بتحقيق أمل طالما راودهم الا وهو ناد يليق بهم وبالادب التونسى يجمع شتاتهم ويعينهم على تأدية رسالتهم .

وعبر السيد محمد العروسى المطوى رئيس اتحاد الكتاب التونسيين بالمناسبة عن الاعتزاز الحاصل بالجهود والمساعدات التى قدمها الاستاذ محمد مزالى من أجل دعم نشاطات الاتحاد مشيدا بالمكانة التى اصبح يتبوأها الاديب التونسى وبالخطوات التى قطعها فى كنف العزة والحرية .

وألقى السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية من ناحيته كلمة جاء فيها ما يلى :

سيادة الوزير الاول السيد الرئيس المؤسس لاتحاد الكتاب التونسيين ،
أيها السيدات والسادة ،

انها لمنة من الله وانه العزم الذى لا ينى أن نحضر اليوم تدشين مقر اتحاد الكتاب التونسيين الذى كان مطلبا من مطالب الادباء والكتاب ، اذ من لا يذكر من بين الاعضاء المؤسسين والاعضاء الذين دخلوا فيما بعد الاتحاد كم عانينا من الرحلة والرحيل والنقلة والانتقال من مقر الى مقر من « لافايات » الى « دار الجلد » الى « باب العسل » وأخيرا شارع باريس ؟

وكنا لا نشكو دوام الرحيل فقط بل ضيق اليد وضعف الخزينة وخواء الصندوق ورغم هذا كانت برامجنا غزيرة وأعمالنا مشهودة سواء فى الداخل أو فى الخارج .

فلقد كان عملنا مركزا على حل كل المشاكل المتعلقة بالكتاب والكاتب وتبلورت كل القضايا وكان للاتحاد برئاستكم وبدرايتكم واعانة الاستاذ الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية آنذاك الفضل في تبين مشكلات النشر وابعاده . وما وصل اليه المجلس القومي للنشر اليوم من قرارات وما توصلت اليه الحكومة منذ ثلاث سنوات من اجراءات كبيرة عددناها اليوم عند اشرافكم على اختتام اعمال المجلس القومي لدليل على أننا قد مضينا أشواطا في تبين ما علينا القيام به جميعا .

وان ما يقوم به اليوم الاتحاد في المجال الدولي ـ وكان صوتنا غير مسموع حتى في الوطن العربي ـ يعد كسبا كبيرا اذ ان الاتفاقات بين الاتحادات قد أثمرت وما زالت تثمر من أجل اشعاع الادب التونسي ورجاله. وما الجائزة الدولية التي تحصل عليها صديقنا مصطفى الفارسي الا مواصلة لهذه العزيمة الفولاذية لتخطي الحدود وابلاغ الصوت عاليا .

ان ما ينتظر اتحاد الكتاب كثير وكثير ولكن الظروف الموضوعية لمواصلة العمل الذي بديء منذ سنة 1970 مؤاتية وخاصة السنة الحميدة التي درج عليها كل أعضاء الاتحاد منذ اليوم الاول رغم تعدد مشاربهم وتنوع تجاربهم هو أنه مهما كانت الخلافات ومهما طوحت بنا الافكار والآراء فانه يبقى دائما يجمعنا ميثاق شرف أدبي يمكننا من تعاون بعضنا مع بعض ومن الحوار المتواصل بين كل الهيئات والفئات خاصة بين الاتحاد والحكومة . اذ بذلك تتضافر الجهود ونتخطى بسرعة كل العراقيل وقد قمنا بالواجب في هذه السنوات تحت رعاية المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة وبتوجيهات من سيادتكم ووصلنا الى نتائج مرموقة كل ذلك في نطاق حرية التعبير والشعور الجاد بالمسؤولية واحتضان كل التجارب وتشجيع كل أصناف الكتاب والادباء وخاصة الشباب .

وفي هذا اليوم الذي جمع بين انعقاد المجلس القومي للنشر وبين تدشين مقر الاتحاد ، نسجل بكل ارتياح أن ما علينا القيام به أصبح واضحا وان ما ستطبقه وزارة الشؤون الثقافية بكل حزم من توصيات المجلس وما سيقوم به اتحاد الكتاب التونسيين في المستقبل ـ وقد توفرت كل الظروف المؤاتية ـ كفيل بان يمهد لعهد زاهر من الانتاج ومن الاشعاع الثقافي .

فشكرا يا سيادة الوزير الاول على كل ما آتحتموه للادب والادباء من امكانيات واننا سنكون دائما أوفياء لما آليناه على أنفسنا من خدمة للكلمة الشريفة الحرة ومن وفاء لأمتنا وحضارتنا .

ولا مجال اذن أن يقال مع المتنبي :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته ... فسرهم وأتيناه على الهرم

فنحن أتينا الزمان فى شبيبته فسرنا وسيسرنا اكثر إن شاء الله .

ثم ألقى السيد محمد مزالى كلمة بالمناسبة تجدون نصها كاملا تحت عنوان : « **اتحاد الكتاب وحدة فى التنوع** » ص 5 من هذا العدد نفسه .

واثرها ألقت الشاعرة فاطمه الدريدى قصيدة هذا نصها :

لا تذكر البعد وأذكر طيب لقيانا ... فبين ذاك وذا شتان شتانا
ما كنت احسب ان الدهر يبعدنا ... وما تفرقنا الا للقيانا
ففرحة العمر تحيا فى مخيلتى ... والشوق يوقد فى الاحشاء نيرانا
أشرقت بعد غروب الأمس من قبس ... يا دار فيك الهوى معنى وأوزانا
هلا سألتم لماذا دارنا عمرت ... بالفكر بالفن احساسا ووجدانا
يا من رايت بها الدنيا وعزتها ... القاك والقلب بالاشواق نشوانا
يا رائد الفكر للينبوع بى ظما ... كأس الفضائل بالاخلاص ملآنا
فنظرة منك تحيينا وتسعدنا ... وتصهر الروح الهاما وتحنانا
الفكر فى ظلكم فاضت موارده ... جادت به خبرة الايام طوفانا
ما زال فى خلدي وجد ينازعنى ... لبيت شعر فصيح الحرف مد كانا
يا واحة وهبت للفكر قادته ... أنت الفخار الذى قد زان دنيانا
بداية الدرب هذي لا نهايته ... لن تبرحي الفكر مهما شط مرسانا
عقولنا بمعانى الفكر زاخرة ... والحظ حالفنا والدهر وافانا
بوركت تونس مهد العلم من أمد ... مهد الثقافة تكوينا وايمانا
مهد الثقافة يا أغلى مكاسبنا ... هواك باق وحق الله ما هانا
لن يستطيع محب ذاب من وله ... ان يشغل الروح عن ترجيع ذكرانا
هذا التلاقى وان جاد الزمان به ... يكون أنسا وينسينا الذى كانا
لا تذكر البعد واذكر طيب لقيانا ... فبين ذاك وذا شتان شتانا

● **مزالى يختتم أشغال المجلس القومى للنشر :**

اختتم السيد محمد مزالى الوزير الاول يوم 8 أكتوبر بقصر الحكومة بالقصبة أشغال الدورة الثانية للمجلس القومى للنشر بحضور السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية الذى قدم فى بداية الجلسة للوزير الاول عرضا قيم فيه أشغال المجلس وما انتهى اليه من توصيات واقتراحات للنهوض بالكتاب التونسى طباعة ونشرا وتوزيعا خدمة للتنمية بمقوماتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ونوه وزير الشؤون الثقافية بالدعم الذى ما انفك يقدمه السيد « محمد مزالى » للثقافة فى مظاهرها وتظاهراتها وبما تقرر بفضل عناية فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة من تشجيعات لفائدة شتى الانشطة الثقافية ملاحظا ان فى ذلك دليلا على الاهمية التى توليها حكومة المجاهد الاكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة للثقافة باعتبار دورها فى تنشيط الحركة الاقتصادية فى البلاد علاوة على رسالتها الحضارية .

واثر ذلك تولى مقرر المجلس تلاوة التقرير العام الصادر عن هذه الدورة الثانية والمتضمن لتوصيات المجلس واقتراحاته للنهوض بالكتاب التونسى وتوسيع نشره فى الداخل والخارج .

وحلل السيد محمد مزالى فى كلمته نظرة الحكومة للثقافة بصفة عامة وللكتاب الادبى بصفة خاصة باعتباره صناعة توفر مواطن الشغل ومادة تصدر من الممكن ان تجلب للبلاد العملة الصعبة كغيرها من المواد وأداة تؤكد حضور تونس واشعاعها فى المحافل الثقافية والفكرية الدولية ولاحظ ان الحكومة سعت ولا تزال لحماية الثقافة مما يتهددها من مخاطر التهميش ولتبوئها المكانة اللائقة بها فى الدورة الاقتصادية باعتبار جدواها الاقتصادية والاجتماعية .

واستعرض السيد الوزير الاول جملة من التدابير القانونية والمالية التى أقرتها الحكومة فى السنوات الاخيرة للنهوض بمختلف أوجه الحياة الثقافية وفى مقدمتها الكتاب الادبى .

وأكد فى نفس السياق ان هذا الكتاب سينتفع بالاجراءات التى اتخذتها الحكومة مؤخرا فى مجال التشجيع على التصدير وتأمين الصادرات شأنه شأن بقية البضاعات .

وأبرز فى هذا الشأن الامكانيات العريضة المتاحة لترويج الكتاب التونسى فى أسواق الكثير من الدول الشقيقة والصديقة وفى مقدمتها البلدان المغربية وكذلك البلدان العربية الاخرى .

وأوصى الوزير الاول الناشرين والموزعين بالتحلي بروح الاقدام والمبادرة لترويج انتاجهم على أوسع نطاق وفى أحسن الظروف خدمة للفكر التونسى ودعما لمسيرة التنمية فى احد اهم مجالاتها .

وأكد السيد محمد مزالى فى الختام استعداد الحكومة لمساعدة المجلس القومى للنشر على وضع القرارات التى اسفرت عنها دورته الثانية حيز الواقع .

وأطلع السيد محمد مزالي من جهة اخرى وبهذه المناسبة على نموذج فى استخدام الاعلامية لانجاز بنك المعطيات الثقافية التونسية أعده مركز الدراسات والتوثيق للتنمية الثقافية بالاشتراك مع المركز القومى للاعلامية وبمساهمة الينسكو .

وتعرف الوزير الاول من خلال الجهاز على المساهمات الجليلة التى قدمها المجاهد الاكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة لاثراء الحياة الفكرية والادبية فى تونس .

ويمتاز هذا النموذج باستعمال نظام حميم يجمع المعلومات ويعالجها ويصرفها للراغبين فى الحصول عليها باللغة العربية وهو نظام فريد من نوعه فى دول العالم الثالث وسيمكن المشروع من اقامة شبكة تربط بين كل المؤسسات الثقافية فى البلاد وبنك المعطيات الثقافية تيسيرا لكل الاعمال التى تهم البحوث الثقافية أو تسجيل التراث حماية للذاتية الثقافية التونسية .

● **قراءات فى فكر وأدب مزالى :**

بدعوة من الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي رئيس رابطة الادب الحديث بالقاهرة تلقى الاديب رشيد الذوادى عضو رابطة الادب الحديث بالقاهرة دعوة ليلقى محاضرة حول : « فكر وأدب الكاتب الاستاذ محمد مزالى » بمقر الرابطة بالقاهرة وذلك مساء يوم الثلاثاء 18 أكتوبر 1983 .

ومن المعلوم ان رابطة الادب الحديث بالقاهرة تأسست سنة 1929 باسم (رابطة الادب الجديد) ثم فى عام 1932 اندمجت فى (جماعة أبولو) التى ترأسها أمير الشعراء أحمد شوقى وتولى سكرتيرتها الدكتور أحمد زكى أبو شادى وكان من اعضائها أحمد محرم وابراهيم ناجى وعلي محمود طه وغيرهم .

ثم فى عام 1945 سجلت باسم « رابطة الادباء » وترأسها الشاعر ابراهيم ناجى ثم فى عام 1953 سجلت باسم « رابطة الادب الحديث » وينضوي تحت لواء الرابطة العديد من اعلام الفكر والادب والشعر والنقد فى مصر والعالم العربى .

وقد سبق للاديب رشيد الذوادى ان قدم مسامرتين فى «رابطةالادبالحديث» بالقاهرة : الاولى عام 1981 عن « جماعة تحت السور » والثانية فى ماى 1983 حول : « أيام من حياة محمود بيرم التونسى فى وطنه تونس » .

● **حوار مع البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية :**

أجرى هذا الحوار الزميل صالح الحاجه ونشرته جريدة « الصباح » بتاريخ : 4 ـ 10 ـ 1983 فى ركن « فكر وفن » وقد جاء فيه قوله :

للثقافة فى بلادنا كما فى بلاد العالم شؤون وشجون .. ولكن طغت فى هذه الايام الشجون على الشؤون وتحولت الساحة الثقافية خصوصا فى مجال المسرح الى ساحة كلام طويل حول بعض المشاكل واختفى الانتاج .. أو نزل الى مرتبة ثانية أو ثالثة .

وقد كنت أظن دائما ان وزارة الثقافة هى اسهل الوزارات من حيث القيادة والاشراف والتسيير ، ولكن ثبت لى ان هذه الوزارة ككل الوزارات تضع على وزيرها الكثير من الاعباء .

كنت أعتقد ان هذه الوزارة بالذات تتيح لصاحبها العمل المريح .. فمهمته يسيرة .. والمشاكل قليلة .. وتسييرها ليس عسيرا .

ولكن اتضح لى خلال هذه الايام ان المسألة ليست على هذا النحو .. ولذلك وجدت نفسى اسأل الاستاذ البشير بن سلامه حين ذهبت اليه لاستجوابه حول عدة مسائل ثقافية يخوض فيها الآن الوسط الثقافى .

وجدت نفسى اسأله هذا السؤال :

كنت اعتقد ان مهمة وزير الثقافة سهلة ويسيرة ولكن تبين لى بالملاحظة وبشىء من المتابعة ان المهمة ليست سهلة وتتطلب الوقت الطويل والجهد الكثير ؟

قال الاستاذ البشير بن سلامه :

اعتبر هذا العمل عملا وطنيا ومثلما ضحى غيرنا فى سبيل الوطن بدمائهم وأرواحهم وصحتهم نضحى نحن بنعيم الحياة .

ربما يعتقد البعض ان الوزير لديه امكانيات للمتعة اكثر من سواه ولكن هذا اعتقاد خاطىء وغير صحيح .

ان من يعمل داخل هذه الحكومة فانه يضحى بالكثير من الاشياء ولا يتجه الا لارضاء ضميره وارضاء السياسة التى يسطرها المجاهد الاكبر ويرتضيها الشعب .

وقلت لـه :

ولكن أين البشير بن سلامه الكاتب والروائى والاديب فى خضم هذه المشاكل والمشاغل والعمل الوزارى ؟

قـال :

انه موجود .. ويكتب باستمرار .. يقرأ دائما .. ويحاول قدر الامكان أن يطالع جميع الصحف .. ومشاغل الابداع الفكرى والادبى ما زالت تشغلنى كما كنت .. فالاديب فى داخلى ما زال يتنفس ويتحرك ويتـأمل ويحـاول ان يعبر عن ذاته وأتمنى أن تظهر نتائج هذه المعاناة فى مستقبل الايام .

قلت : وما هو الكتاب الذى تقرأه الآن ؟

قـال :

أنا أقرأ الآن عدة كتب .

قلت : وهل هناك من بينها كتاب تونسى ؟

قـال :

نعم .. أغلب الكتب التونسية اقرؤها .. واقرأ فى عدة أماكن .. هنا فى المكتب البعض واقرؤها بعد خروج الموظفين ان تركت لى الملفات الـوقت .. والبعض الآخر فى البيت من غرفة الجلوس .. الى المكتبة .. الى غرفة النوم .

قلـت :

لا أخفيك ان فى قلوب بعض المثقفين شجن سببه انهـم كانـوا ينتظرون الكثير فى عهد البشير بن سلامه الذى يعتبرونه واحدا منهم .. ولكنهـم مـا حصدوا الا القليل .. فهل ان وزارة الثقافة واعية بهذا الشجن وتقـدره حـق تقديره وتعمل على ازالته ؟

قـال :

من يريد ان يتتبع ما قامت به وزارة الشؤون الثقافية خلال الفترة الاخيرة فى عدة مجالات سواء كان ذلك فى الموسيقى أو فى النشر أو فى المسرح أو فى الفنون التشكيلية أو فى الآثار من تنظيم ومن امكانيات مـالية جديـدة وحتى أدبية يعتقد ان ما قامت به الوزارة كثير .. وكثير جدا .

ويكفى ان نشير الى القوانين التى صدرت ونظمت الحياة الثقافية سواء كان ذلك بالنسبة للجنة الثقافية القومية التى اصبحت تعمل فى ظـروف طيبـة ويسيرها اعضاء لهم مستواهم ولهم قيمتهم ومكانتهم فى البـلاد .. والاوامـر

التنظيمية التي صدرت في ما يخص اللجان ودور الثقافة تشهد بذلك لان قبل. كل شيء ثقافتنا ثقافة شعبية..فنحن نريد ان نوصل الثقافة الى كل التونسيين ولا نحصر الثقافة في بعض المدن وفي بعض الاحياء .

لقد خطونا خطوات كبيرة على طريق التنظيم وتعميم الثقافة .

ولا ننسى القانون الذي اصدرناه بخصوص تعميم الثقافة من خلال اجبار الشركات العقارية على اعتبار الهياكل الثقافية عند تأسيسها للاحياء الجديدة .

وقد أخذ هذا القانون طريقه الى التطبيق وسيمكن كل مناطق الجمهورية من الانتفاع بالثقافة .

ولا ننسى ايضا ما قامت به وزارة الثقافة في مجال التجهيزات .. فلقد جهزنا الكثير من المكتبات ودور الشعب ومثلما تعلمون فان ميزانية وزارة الثقافة ارتفعت .

ولا ننسى كذلك المعاهد العليا التي أسسناها :

المعهد الاعلى للموسيقى .

المعهد الاعلى للمنشطين الثقافيين .

المعهد الاعلى للتكوين المسرحي .

أضف الى ذلك التربصات في الخارج .. ومردود هذه المؤسسات والاعمال لن يظهر الا بعد سنوات .

وفي ميدان الخلق الادبي رصدنا اموالا طائلة ، بهدف تشجيع مختلف ألوان الابداع .

وبعد ذلك يمكن ان نقول : إن السنة الجديدة ستكون سنة ثقافية بأتم معنى الكلمة فستشهد تركيز المسرح الوطني الذي سيطبق السياسة المسرحية في البلاد وسيتمكن في هذه السنة بالذات من تقديم ثلاثة عروض مسرحية كبيرة جدا ، وستلتئم لاول مرة ايام قرطاج المسرحية بمشاركة فرق كبيرة عربية وافريقية وأوربية .. وستفتح المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات دورتها المشهودة لاول مرة بمشاركة علماء من العالم ..

ولا ننسى اننا سنحتفل على مستوى عال بالفية ابن الجزار .. وبخمسينية الشابي .

وهذا عمل سيكون له أطيب الاثر في الحياة الثقافية من نشر الثقافة والتكوين ونشر الكتاب ..

اذن ماذا بقي ؟.. وأين يتمثل الشجن .. شجن المثقفين .

الحـرية ؟...

مسألة الحرية أعتقد انها غير ذات موضوع فوزارة الثقافة لم تمنع أيا كان من التعبير الادبي والثقافي .

واعتقد ان هذا الشجن سببه غياب الاعمال الثقـافية الكبيـرة فالتونسي والمثقف على وجه الخصوص يطمح الى ان تصبح لديه مثل هذه الاعمال .. لكن ذلك لم يتم الا بعد ان نركز مؤسسات ثقافية قوية وقادرة .. وهذا يحتاج الى وقت .. والى مناخ .. والى امكانيات .. وهذه العناصر موجودة وستوجد فى المستقبل عن طريق صندوق التنمية الثقافية .. وهو صندوق جديد احدثناه فى الفترة الاخيرة وسيعمل على التشجيع على الخلق .. اى على شراء الانتاج .. وبفضله سنشترى الكتب ونوزعها على المكتبات .. والافلام لنعرضها فى دور الثقافة .. وفى هذا تضحية من الشعب .. وكذلك سنتمكن من شراء العروض المسرحية والموسيقية الكبيرة ..

واعتقد ان الاعمال والقرارات التى برزت وستبرز بعد شهور قليلة بازالة هذه الحرقة .. أو هذا الشجن .

وأقدر ان جميع المثقفين سيتمتعون بعد سنوات قليلة بحياة ثقافية أكثـر غـزارة .

اما اذا بقي هذا الشجن بعد هذا كله فان مرده الى بعض الاوهـام ، أو الى بعض اصحاب النفوس الضعيفة الذين لا يرضيهم ان ينجح هـذا النظـام فى الحقل الثقافى .

قلـت :

بعد هذا .. اسألكم عن حق الاختلاف فى الرأى الثقافى .. هل تحترم وزارة الثقافة هذا الحق ؟ وهل تتقبل الاختلاف حول موقف ما .. حول مشروع ما.. حول مسألة ما برحابة صدر ؟

قـال :

كل القررات التى اتخذتها وزارة الشؤون الثقافية انما وقع اتخاذهـا من طرف اللجان الاستشارية ...

ومن يقول : « لجان » يقول حوار .. ونقاش .. واختلاف .. وما من قـرار صدر عن هذه اللجان الا ووافقت عليه .. علما بأن هذه اللجـان تضم جميـع القطاعات والتيارات والاتجاهات الثقافية بما فيها موظفو الوزارة . وبالطبـع فان الوزارة هى التى تهيىء العمل وتستنبطه وتضعه على بساط البحث لينقح وليطور على حسب الحوار .

ولكن من واجب المسؤول ان يتخذ القرار ، ولا نتورع أحيانا من اتخاذ قرارات قد تؤذى البعض الا انها تكون فى مصلحة الوطن ومصلحة القطاع .

وقد قلت منذ اليوم الاول ان من واجبنا ان نبعد الساحة الثقافية عن الصراعات السياسية والايدياوجية ونعتقد ايضا ان دور الثقافة ينبغى ان تكون مفتوحة امام جميع التونسيين مهما اختلفت آراؤهم وان يجتمعوا على أرضية صلبة وهى خدمة هذا الوطن وهذا المجتمع .

واقترح ان يكون عندنا ميثاق شرف ثقافى لنا جميعا حتى لا نبتعد عن هذه الارضية .

هذا الاقتراح كنت اقترحته قبل شهور ولكن أساء البعض فهمه واعتبروه قيدا على حرية التعبير والتفكير ، ولذلك أجلت اصداره الى ان يتفق حوله الجميع . والميثاق لا يمس حرية الخلق والابداع المطلقة التى يجب أن يتمتع بها الخلاق بل هى تمس تنظيم الحياة الثقافية فى المؤسسات الثقافية على اساس القانون .

ومن يعتقد ان الثقافة يمكن ان تكون فوضوية وان توجد جمعيات غير قانونية فهو غير دمقراطى .. لان الدمقراطية الحق هى فى احترام القانون وتطبيقه ونجد فى المجتمعات الدمقراطية المواطن هو الذى يطبق القانون ، مثله فى ذلك مثل السلطة .

قلت :

اذا كان هذا هو موقف وزارة الشؤون الثقافية من حق الاختلاف الثقافى فكيف تفسرون قرار حل اتحاد المسرحيين بعد ان عبر عن رأى مخالف تجاه انشاء المسرح الوطنى .. وهل لم يكن فى الامكان تجنب قرار الحل .. واصلاح ذات البين بدون تصلب ؟

قال :

منذ سنتين كان اتحاد المثلين المحترفين وأظن أن له هيئة وقتية .. ولاننى حقيقة أريد الحوار نشطت اتحاد الفنانين التشكيليين وجمعيات اخرى .. ومكنت جامعة المسرح من ان تعمل الآن فى ظروف طيبة جدا بعد ان ظلت جامدة طيلة سنوات فلو اننى كنت أظن اننى انا العارف بكل الامور واعرف كل شؤون وشجون الثقافة لقلت لا حاجة للتشاور .

وحثثت هيئة اتحاد المثلين على ان تجمع جلستها العامة وفعلا اجتمعت وانتخبت هيئة وتعاملت طيلة سنتين واطلعتهم على خطة تنظيم المسرح وقلت لهم يجب ان توجد مجلة قانونية للمسرح .. وفكرة انشاء المسرح الوطنى كانت واردة هم كانوا من المتحمسين لها وانا ايضا .

وقلت لهم انا اريد من الاتحاد ان يشارك الوزارة في العمل الذى تقوم بـه ولهذا فانني أريد منكم ان تقدموا اقتراحاتكم الى اللجنة الاستشارية فقالوا : ما فائدة هذه اللجنة .. بما اننا نحن اتحاد المسرحيين نمثل جميع المسرحيين فلماذا اللجوء الى هذه اللجنة .. ووجدنا عنتا في اقناعهم وقلنا لهـم انـه من الدمقراطية ان تستمعوا الى آراء اخرى هناك مسرح الهواة وانتم تتمسكـون بمسرح الاحتراف .. وهناك أفكار وآراء أخرى من اناس لهم تجـربة حتى انه في الاجتماع الاول للجنة سأل أحدهم مدير الفرقة البلدية وقال لـه : مـاذا تفعل انت هنا فانا أنوبك فلماذا أنت موجود هنا .

اذن ، النظرة الاحادية لم تأت من الوزارة بل جاءت من الاتحاد ، وقبلـوا العمل معنا على مضض في صلب اللجنة الاستشارية وشاركوا في النقاش . وقاموا بخطوات مع الوزارة .. وحللنا معا الكثير من المشاكل .

ولكن في الاثناء اجتمعوا في جلسة عامة وغيروا اسم الاتحـاد الـذى كان اتحاد الممثلين المحترفين فاصبح اتحاد المسرحيين ونقحوا القـانون الاساسي وجاؤوني فقلت لهم : يجب ان تعلموا وزارة الداخلية ، لان وزارة الثقافة ككل الوزارات تتعامل مع الهيئات القانونية واعتبرنا انهم قاموا بالامور القانونية .

وكان الاتحاد يعلم ان وزارة الثقافة ماضية قدما في تطبيق سياسة مسرحية ثورية وجديدة وفي تنشيط الحياة المسرحية وفي ايجاد القوانين التى ستنظم هذه المهنة .. وتنظيم كل شؤون المسرح .

واعتقد ان نقطة الخلاف هي مسألة انشاء المسرح الوطني، وقد قلنا لهم : إن هذا المسرح لن يكون بيروقراطيا وانه سيتعامل مع جميع الفـرق المسـرحية وانه ستيح لها امكانيـات العمـل والقيـام بتجاربهـا ويعطيهـا الامكانيـات الضرورية لتشع في الداخل والخارج ..

وقد أوضحت لهم الصورة التي سيكون عليها هذا المسـرح ولا أخفى انني توجهت أول ما توجهت الى رئيس الاتحاد وعرضت عليه ان يكون مدير المسرح الوطني فرفض وتعلل بانه يريد ان يكون حرا ثم طلبت منه ان تكون لجنة من أهل الذكر للنظر في مشروع المسرح الوطني وتكونت هذه اللجنة واجتمعت بكامل اعضائها بما في ذلك المنصف السويسي .. وفي آخر الامر انفضوا من حوله وبقي وحده .. واستشرتهم حول من يكون المدير لهذا المسرح واعطوني قائمة في اسماء وجاء اسمه في الدرجة الثانية فاخترت السويسي وكان اختياري له ليس اعتباطا فهم اقترحوه ثم انهم يعرفون قيمته والجمهور التونسي يعـرفه أحسن معرفة .

وقررت أن أؤسس بصورة عملية المسرح الوطني .. وقررنا ان نبدأ من هذا العام اقامة الايام المسرحية لقرطاج التي ستكون بمثابة احتكاك المسرح التونسي بالمسرح العالمي .

ورأوا فيهذين المشروعين ما لا يتماشى معفلسفتهم في تسيير الاتحاد فهم يعتقدون ان القرارات التي تنظم المهنة ينبغي ان تصدر قبل انشاء المسرح الوطني .. وقلت لهم : انه ينبغي أن نعمل بأمور وقتية في انتظار صدور تلك القرارات التي شرعنا في الاعداد لها .

وفجأة اعلنوا القطيعة .

وأود أن يعلم الجمهور بأن الاتحاد هو الذي بدأ بالقطيعة .. وان قرارهم جاء بصورة فجئية وفي ظروف نجهل أسبابها .

والغريب ان القطيعة جاءت لا علنية عن طريق الصحافة فقط بل عند التئام آخر جلسات اللجنة الاستشارية للمسرح أتوا برسالتين رسالة الى رئيس اللجنة تعلمه بالقطيعة لاسباب في الواقع واهية ورسالة مختومة الى وزير الثقافة مفادها ان الاتحاد يطلب من الوزير افتتاح المؤتمر الذي يعتزمون تنظيمه وتعيين من يمثل الوزارة ومساعدة الاتحاد ماديا وأدبيا .. أمر غريب.

وبهذا دللت الهيئة على مواقف غريبة وليست جديرة بأن تسهر على هذا القطاع ولا ان تكون طرفا مسؤولا مع السلطة قادرة على الممارسة الرشيدة .

ثم انني علمت من مصدر رسمي ان هذا الاتحاد يعمل بصورة غير قانونية ولم يقم بالاجراءات المطلوبة وقد كنا نظن انه أتم ذلك منذ شهور ، وانا كسلطة لا استطيع ان اتعامل مع جمعية غير قانونية ثم انهم قطعوا الحوار فكان لا بد من قرار الحل .. وهذا القرار قانوني والقانون يسمح بتكوين هيئة وقتية .

بقيت مسألة اتخاذ قرار الحل.. من يتخذه وزارة الثقافة أو وزارة الداخلية.. أقول عن هذه المسألة انها لا تهمهم فالسلطة متجانسة والحكومة متكاملة ولا يهم الاتحاد ان يعرف الا بقرار الحل باعتباره غير شرعي .. وغير مرخص له .

واعتقد أن أي مثقف لا يحترم نفسه يعتبر ان هذا الموقف فيه تعسف أو فيه اعتداء على الحرية .

وأظن أن الامر خرج عن نطاق المسرح واصبحت مهمة الاتحاد عوضا ان تكون اعماله متجهة الى تشجيع المسرحيات لتكون على الركح وفي المسرح صارت غايته القيام .. بمسرحية على قارعة الطريق .

وهناك شيء أكدت عليه ويجدر بي ان اذكر به وهو ان لا نجعل المسرح مطية لاشياء أخرى .. فهو فن له طقوسه ومشاكله أيضا .. وينبغي ان لا نضيف له مشكلا آخر غير ثقافي ولا يمت للمسرح بسبب .

ولست على استعداد لان أزج بالمسرح التونسي في هذه المتاهات .. ويكفيه المتاهات التي ضاع فيها منذ السبعينات والجمهور يعرف « مغانمنا » من هذه المتاهات .. لقد كانت « مغانم » ضئيلة جدا !

قلت : بعض الامسيات الشعرية منعت خلال هذا الصيف.. وبعض الشعراء الشبان لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم ؟

قـال :

كيف يكون التعبير بالنسبة للشاعر ؟..

التعبير يكون بواسطة نشر شعـره بواسطـة جريـدة .. أو مجلـة .. أو مجمـوعة ..

واعتقد ان هؤلاء الشعراء يجدون مجالا واسعا لنشر انتاجهم ..

بقي وجود الشعر في المهرجانات .. وهذا يخضع للبـرمجة التي يضعهـا مديرو المهرجانات على ضوء اعتبارات كثيرة تتعلق كلها برغبات الجمهـور في الجهـة .

هل منعناهم من القاء أشعارهم ؟ ومن التعبير عن أنفسهم . لقد ألقى كـل شاعر شعره .. وتحدث مثلما شاء .. نحن لم نمنـع .. لا في الصيف ولا في الربيع .. الشعراء من كتابة أو قول أو القاء الشعر . وليس لوزارة الثقـافة فيما يدعون ناقة ولا جمل .

وأنا شخصيا لا علم لي بهذه الامسيات الممنوعة .. ثم ان المسألة لا تستحق هذه الضجة .. ولا صيحات الفزع التي يشجعها بعض الناس مع انها لا تخدمهم ولا تلفت اليهم الانظار .. والانظار لا تتجه الا للشاعر المبدع المنتج ..

قلت : أفهم من هذا ان الوزارة ليست لها قائمة سوداء تضم بعض الاسماء الممنـوعة ؟

قال : أبدا .. فلو ان لدينا هذه القائمة لما مكناهم من الايام الشعرية في دار الثقافة ابن خلدون ولما قلنا لهم يا شعراء .. هذه مجلة الشعر أمامكم فانشروا فيها ما تشاؤون على ان يتوفر في الانتاج الحد الادنى من المستوى .

● جــوائز ثقــافية للمبــدعين :

ترصد بلدية تونس ست جوائز تشجيعية للانتاج الثقافي التونسي المنشور سنة 1982 وتخص :

1) أحسن رواية مبتكرة أو أحسن مجمــوعة قصصية مبتكرة : 1.000 د
2) أحســن مســرحية : 1.000 د
3) أحســن مجمــوعــة شعــريــة مبتكــرة : 1.000 د
4) أحســن تاليف ثقافي في النقــد أو البحث أو الــدراسة : 1.000 د
5) أحســن تاليــف مبتكــر خــاص بالطفــولــة : 1.000 د
6) أحســن تــأليف فــي العلــوم : 1.000 د

الشــروط :

1) أن يكون الانتاج منشورا باللغة العربية ولاول مرة .
2) أن يكون مطبوعا بين أول جانفي 1982 و 31 ديسمبر 1982 .
3) أن يكون الانتاج غير مترشح أو متحصل على جائــزة أخرى مهما كان نوعهــا .
4) أن لا يكون الانتاج خاصا بنيل درجة علمية أو جامعية .
5) أما فيما يتعلق بالمسرحية فينبغي أن تتوفر فيها شروط العرض .
6) أن يقدم المؤلف انتاجه الى مصلحة الثقافة لبلدية تونس 2 نهج اليونان تونس بعنوان الترشح لجائزة « علي البلهوان » في خمس نســخ وفي أجل لا يتجاوز يوم 31 أكتوبر 1983 .

● اختتام الملتقى الدوري للمندوبين الجهويين للثقافة :

اختتم يوم الجمعة الماضي الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية الندوة الدورية للمندوبين الجهويين للثقافة التي انعقدت أيام : 12 و 13 و 14 أكتوبر بمقر وزارة الشؤون الثقافية للنظر في البرنــامج الثقــافي لمــوسم 1983/1984 الذي يمتاز بالتنوع من ذلك برمجة لاقامة معارض للفن التشكيلي بكل الولايات .

والبرمجة السنمائية التي تعدها اللجنة الثقافية القومية تعتبر من أهم الوسائل التنشيطية في الميدان الثقافي لذلك حرصت وزارة الشؤون الثقافية على تعميم الوسائل الضرورية كالسيارات والتجهيزات السنمــائية في كــل المندوبيــات .

والتبادل الثقافي بين الولايات يعتبر من أهم الوسائل التنشيطية للمدن والقرى التونسية ونظرا لأهمية هذه التظاهرات ضبطت قائمة التبادل الثقافي بين الولايات وذلك بحضور المندوبين الجهويين أنفسهم ووقع تسجيل البرنامج بحضورهم .

وتناولت ندوة المندوبين الجهويين بالدرس ظاهرة المهرجانات الجهوية والمحلية التي تعيشها البلاد التونسية خاصة في فصل الصيف .. ذلك أن عدد المهرجانات الجهوية والمحلية يتجاوز 80 % من مجموع المهرجانات .

أما برنامج النشاط الادبي والفكري فهو كالآتي:سيقع الاحتفال عالميا بالفية الطبيب والفيلسوف **ابن الجزار** وذلك تحت اشراف المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة وأعطى الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول اشارة انطلاق المهرجان يوم 24 أكتوبر 1983 بمدينة سوسة وتولى الاستاذ البشير بن سلامه في نفس اليوم تدشين معرض للمخطوطات بمدينة القيروان ...

كما سيقع تنظيم خمسينية الشاعر التونسي **أبى القاسم الشابي** بمشاركة عدد من الباحثين والدارسين من البلدان العربية والجامعات الغربية .

ويحتوى مشروع الملتقيات على العديد من التظاهرات منها :

ملتقى (يوغرطة) للتاريخ القديم والآثار بمدينة الكاف .

وملتقى محمد المرزوقي للادب والتراث الشعبي بمدينة قبلي .

والندوة الاسلامية بالقيروان .

وملتقى أبي لبابة بقابس .

وملتقى ابن عرفة للفقه والتشريع بتطاوين .

وملتقى علي النوري للعلوم بصفاقس .

وملتقى ابن منظور لقضايا اللغة العربية بقفصة .

وملتقى الامام المازري للفلسفة والتصوف بالمنستير .

وملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية بالمهدية .

كما ستقوم وزارة الشؤون الثقافية بتكريم الاساتذة : محمد مزالى ومحمود المسعدى ومحمد التريكى وكذلك تنظيم لقاءات أدبية حول الكتب التى صدرت خلال سنة 1982 ـ 1983 .

وبرمجة نشاط التبادل الثقافي مع الخارج نتيجة لارتباط تونس بالعديد من الاتفاقيات الثقافية التي يبلغ عددها أكثر من 51 اتفاقية مع عدد من البلدان

الشقيقة والصديقة ... لذلك ستشهد البلاد التونسية العديد من التظاهرات الثقافية القادمة الينا من البلدان العربية والاوربية والافريقية والآسيوية والامريكية .

أما النشاط المكتبي والمطالعة العمومية فقد أكد رئيس مصلحة المطالعة العمومية ان وزارة الشؤون الثقافية حريصة على تطوير هذا القطاع الثقافي من خلال التوزيع الدوري للكتب المطبوعة حديثا ولقد ضاعفت الوزارة من الاعتماد المالي المخصص لشراءات الكتاب وتدعيم الاطار البشري (محافظي مكتبات) واعادة النظر في فهرست الكتب تفي بحاجيات المطالع وكذلك الباحث وستظهر نتائج هذه الاجراءات في القريب العاجل .

أما في ميدان الآثار والعلوم التاريخية فتونس تعتبر ملتقى الحضارات على امتداد التاريخ فهي زاخرة بالمعالم التاريخية والحضارية التي تبرز العمق التاريخي للشعب التونسي من خلال تجذره في تربة هذه الارض التونسية الطيبة .

أما دور الشعب والثقافة فقد وقع النظر في وضعية تلك الدور المنتشرة في كل المناطق التونسية خاصة وانها تعتبر من اقرب المؤسسات الثقافية القريبة من الشعب نتيجة وجودها في كل منطقة من الجمهورية .

● **تخطيط الترجمة والتعريب :**

اختتمت لجنة التعريب والترجمة ـ وهي احدى اللجان الفرعية للجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية المنبثقة عن جامعة الدول العربية ـ اجتماعها في الكويت قبل أيام .

وكانت اللجنة قد استمعت الى ثلاث أوراق عمل طرحها المشاركون في هذه الاجتماعات .

وكانت الورقة الاولى بعنوان : « الخطة القومية للترجمة » قدمها الخبير بقسم الترجمة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الاستاذ شحادة الخوري .

كما استمعت اللجنة لورقة عمل ثانية بعنوان : « نقاط مقترحة في اطار التخطيط للتعريب والترجمة » وورقة ثالثة بعنوان : « الترجمة والتعريب من المجال النظري الى العلمي » .

وشارك في هذه الاجتماعات عدد من المتخصصين والخبراء في مجال التعريب من دول عربية مختلفة اضافة الى اساتذة ومتخصصين في دولة الكويت .